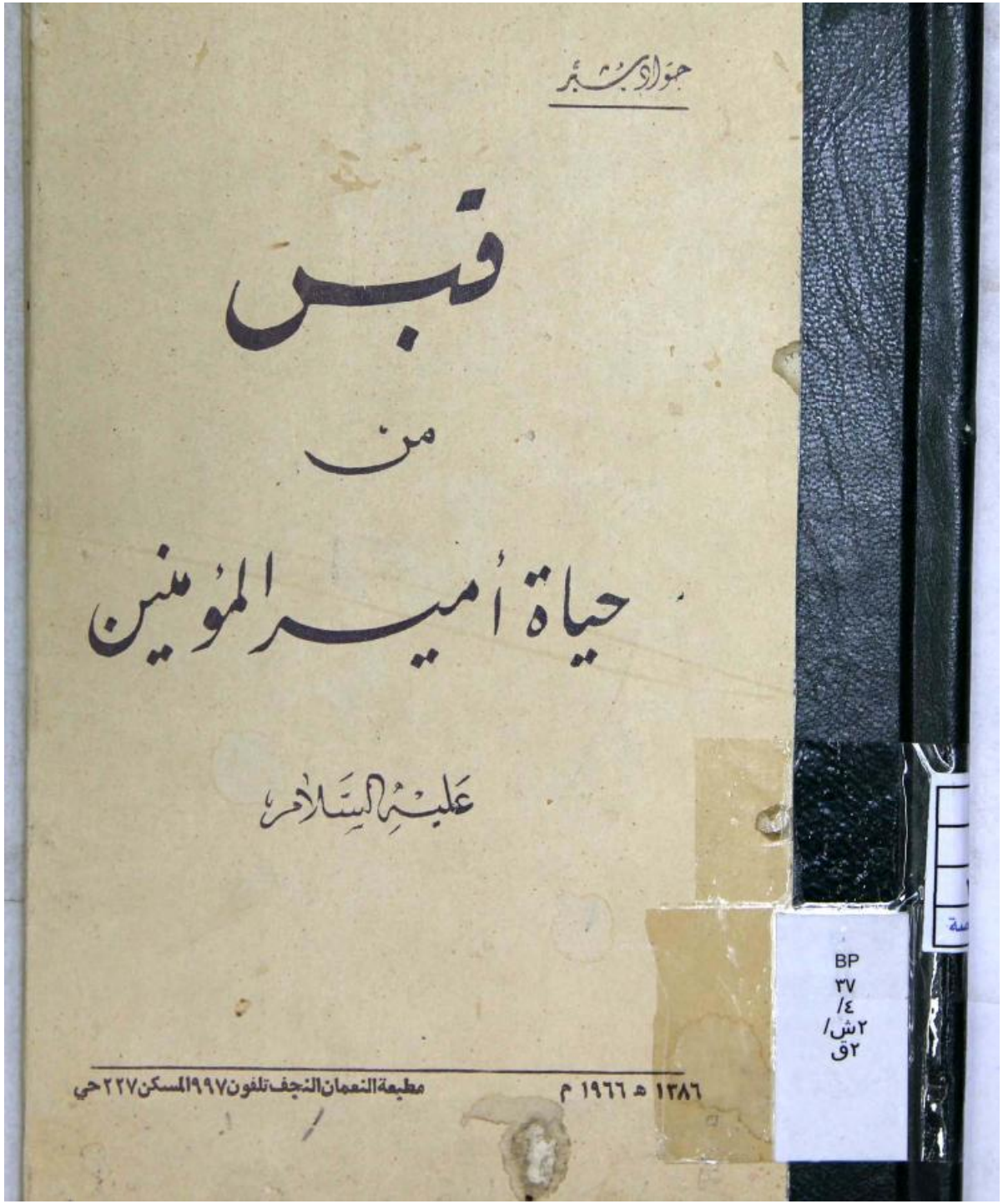

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

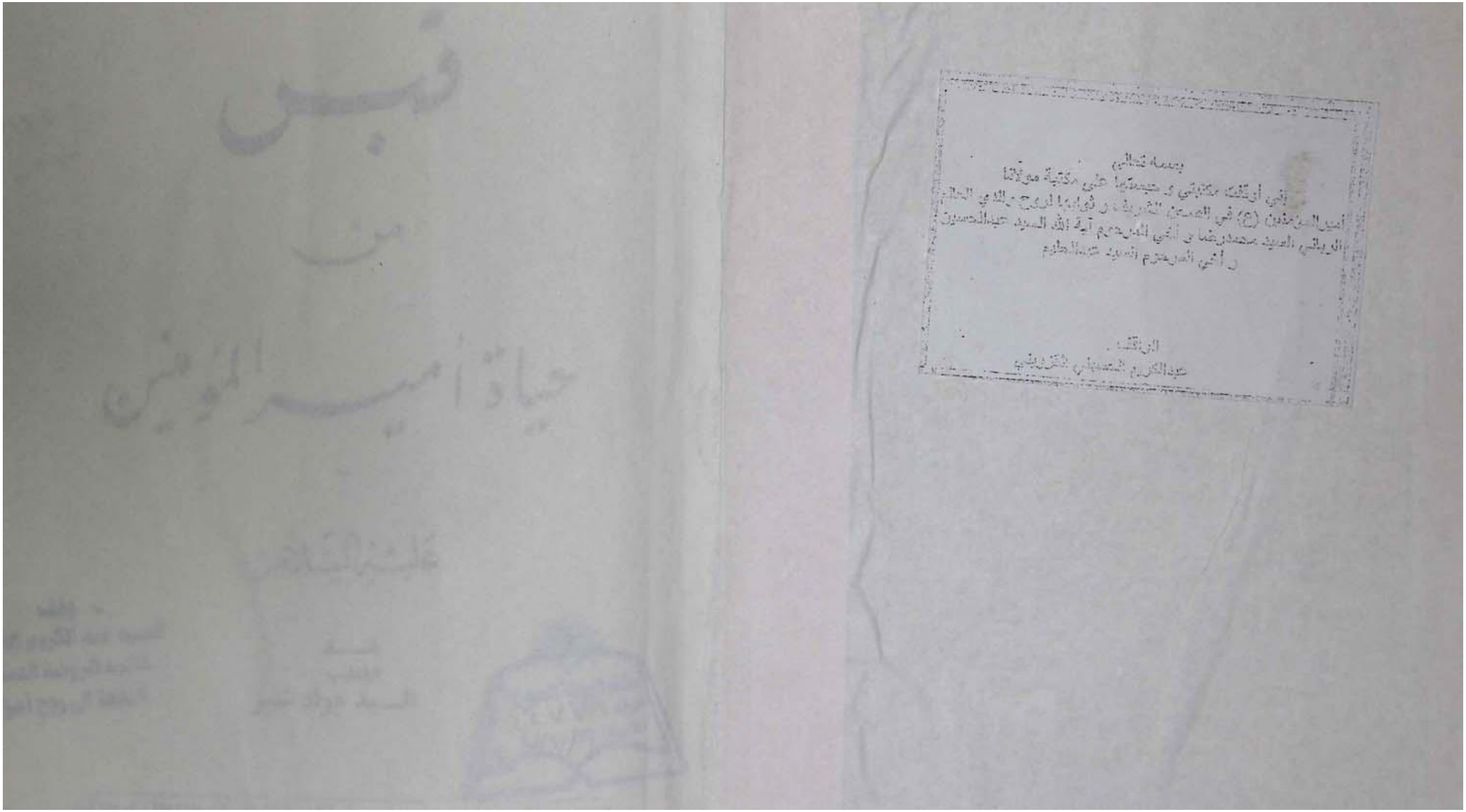

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قبس

من

حياة أمير المؤمنين

عليه السلام

بقلم
الخطيب
السيد جواد شبر

وقف
السيد عبد الكريم القزويني
لمكتبة الروضة الحيدرية
الفاتحة الى روح أمواته

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٧٧٨
التاريخ ٧/٧/٩

١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م
مطبعة النعمان النجف تلفون ١٩٩٧ المسكن ٢٢٧ حي

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدلله القائل : يرفع اللهالذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلمدرجات والصلاة على سيدنا محمد اشرف الخلق ، والصادع بالحق ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الميامين .

منذ زمن ليس بالقصير احس برغبة ملحة في تأليف كتاب عن اميرالمؤمنين علي بن أبي طالب يكشف لنا الغامض من جوانب حياته . كانت هذه الفكرة ترسو وتطفو ،ومهما مرموسم من مواسم الادب أومناسبة دينية تنبهتالرغبة ونشطت ،وجاشتهذه الخاطرةثمفترت،وقد آنان نفتحالباب علىمصراعيهلاقلام العلماء والادباء لمعالجة تحليل شخصية امير المؤمنين ، واستثارة الاحاسيس والمشاعر ، واستنتاج ما تكنه النفوس والعواطف ، وانطباعات اعلام الفكر وذوي الرأي عن هذا الامام ، لتظهر لنا شخصيته جلية مبلورة .

وها نحن نهيب بفرسان البيان وابطال القلم واللسان للمساهمة بهذه الحلبة . سيما والامام علي هو المثال الذي التقت على حبه واجلاله جميع الطوائف الاسلامية على اختلاف مشاربهم، واحبه كلعارفوتعشقه كلمنصف.

مبعث الفكرة .

في جلسة قصيرة مع اعضاء لجنة الاحتفال بمولد سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين بن علي عليهم السلام في مدينة النجف الاشرف — وكان الحديث حول تهيئة المكان لراحة الوفود وتنظيم الغذاء وتوزيعه في علب ، اختصارا للوقت وتوقيا من الضوضاء .

همست في اذن جليسي قائلا : لو انهم فكروا في تهيئة الغذاء الروحي ضمن الغذاء الجسدي لكان حسنا .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قال : وكيف • قلت : توزع كراسة في العقائد الاسلامية ضمن علب الحلوى فاتتبه الاخ الوجيه السيد هاشم شبر • وقال : هيىء المقال ونحن نهيىء المال ، فتولدت من هاتين الكلمتين كراسة تحمل اسم (أشعة من حياة الامام الصادق) وتم توزيعها كما رأيتم •

وعلى الاثر تلقيت رسالة من أحد وجوه العراق تبارك لنا هذه الخطوة وتظهر أستعدادها لتقديم الف دينار من أجل القيام بتأليف كتاب اوسع واجمع من الكتاب السابق ويقتصر على حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوزع في المهرجان الكبير المنعقد كل عام في مدينة كربلاء ليلة ميلاد الامام علي عليه السلام في شهر رجب الحرام •

هنا أتسع الامل وارتأيت ــ بعد مصارعة النفس وترك الانانية والانسحاب عن حب الذات ــ أن نطرح على العالمين الاسلامي والعربي فكرة المباراة الكتابية لتكون الخدمة اكبر •

وما فكرة وضع الجوائز الا رمز معنوي وهو اشبه شيء بتقديم الوسام وما كتبت هذه الرسالة بهذه العجالة الا لتكون تلميحات واشارات لسمو عظمة هذا البطل ، وهي كمقدمة مختصرة لما يكتبه الكتاب ومصراع لفتح الباب ، ووقفات على روائع نيرات من مميزات هذا الامام • ولو اردنا التبسط في أحواله وتفصيل ما جاء من أقواله لضاق بنا المجال • فان الآيات القرآنية التي تشير الى فضله تعدّ بالعشرات ، والاحاديث والنصوص الواردة في حقه تجاوزت حد المئات ، وهل بعد مدح الله تعالى شأنه من مدح وهل فوق ثنائه من ثناء ، أجل فلم تكن هذه الصفحات لاستعراض أحواله وترجمته ، ولا من اجل تفصيل حياته ، ومتى ولد ، وكيف نشأ ، وكم عاش ، واين مات •

انما الفكرة التي وضع الكتاب من أجلها والهدف الذي نرمي اليه

معالجة النواحي الغامضة من حياته ، والتي تستثير العجب حتى تاه البعض وسلك طريق الشكوك والريب • ولذا تجد أنها الى الاستفسار أقرب منها الى اعطاء القرار ، واذا كنت قد عرضت صورا لاتمثل الامام التمثيل اللائق به فأني اعترف ان الريشة التي راحت تخط هذه الصور وتعرض هذه الالوان ليست بريشة فنان ، وكنت كصاحب معرض لايحسن عرض ازيائه وبضاعته • ولعل ذلك ادعى للسادة العلماء وأرباب الفن من الادباء ان يخوضوا هذه الحلبة ما دامت البضاعة جميلة معجبة ، ولكنها في قوالب غير مرتبة • هذا وان الشعور بالنقص فضيلة ، وحسبي ان أقول : هذا جناي وخياره فيه •

جواد شبر

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الشخصية الفـــذة

كل من درس شخصية الامام اكبرها واعجب بها اذ هي اخصب شخصية عرفها تاريخ الاسلام مثالية فذة تستحق العناية والرعاية والبحث والتحليل وليس من السهل ان يسمح الدهر بمثلها او بشبهها كما انه ليس من السهل أيضا معرفتها والاحاطة بجوانب عظمتها • فكل نواحيها تنور بالاشعاع وتفيض بالعظمة وتنفح بالاعجاب والاكبار •

يقول شبلي الشميل : والامام علي بن أبي طالب عظيم العظماء ، نسخة مفردة لم ير لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الاصل لاقديما ولا حديثا •

وأول من أشار الى عظمة الامام واشاد بعلو مقامه هو سيد الانام رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله :

والذي نفس محمد بيده لولا اني اشفق ان تقول طوائف من امتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت فيـك مقالا لاتمر بملأ من النـاس الا واخذوا التراب من تحت قدميك للبركة [1] من هذه الشهادة عرفنا ان شخصية الامام مما يعسر على العلماء معرفتها وعلى الفلاسفة تحليلها ، بل هو في القمة من السمو والرفعة ، وهو الطود الشامخ الذي لايرقى اليه الطير ، كما عبر هو عليه السلام عن نفسه في خطبته المعروفة بـ (الشقشقية) حيث قال :

وان محلي منها ــ أي الخلافة ــ محل القطب من الرحى ، ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير [2] • فهو عليه السلام لم يرض لنفسه بأن يكون

(١) روى ذلك احمد بن حنبل فقيه الحنابلة في مسنده •

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي •

مصبا يستقي منه السهل وترتوي به الارض حتى قال : ولا يرقى اليَّ الطير • وكم وقف الحكماء والفلاسفة والمفكرون ينظرون بأعجاب الى عظمته، وسيبقى عليٌ القمة التي يحاول أن يصعد اليها الفكر البشري ليجتلى غوامضها ويسبر غورها ما دام الانسان يشعر ويتأمل • فقد وجدنا العالم يكاد أن يجمع على فضله وافضليته •

ووجدنا الغريب عن الاسلام يترشفه ويكبر شخصيته كفيلسوف الفريكة امين الريحاني والاستاذ انيس المقدسي وكثيرين غيرهما ، ونرى غريب الدين والوجه واليد واللسان يحلل شخصيته تحليلا منطبقا على وقائع التاريخ كالفيلسوف (توماس كارليـل) الانكليزي حيث يقول في (ابطاله) في هذا الامام العظيم :

أما علي فلا يسعنا الا أن نحبه وتنعشقه ، فأنه فتى كبير النفس جليل القدر يفيض وجدانه رحمة وبرا ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة • وكان اشجع من ليث ولكنها شجاعة ممزوجة برقة ولطف ورأفة وحنان جدير بها فرسان الصليب في القرون الوسطى ... الى آخر ما قال ، فكل جوانبه تدعو للعجب • وسواء بحثها الاديب والمفكر والعالم والسياسي والفيلسوف والقائد وجدها خصبة ثرية تزخر بالروعة وتسمو بالمثل العالية •

يقول الفيلسوف اللبناني المعاصر ميخائيل نعيمة :

عظيم من عظماء البشرية .. انبتته ارض عربية ولكنها ما استأثرت به ، وفجر ينابيع مواهبه الاسلام ولكنه ما كان للاسلام وحده •

وجاء في الرسالة التي وجهها للكاتب المبدع جورج جرداق عندما أصدر الحلقة الاولى من موسوعته (الامام علي صوت العدالة الانسانية) : ان عليا لمن عمالقة الفكر والروح والبيان في كل زمان ومكان واذا عرضنا أمامك ــ أيها القاريء ــ شهادات الفلاسفة والعظماء في هذا الامام الكبير

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بحياته .. الكبير بمماته .. الكبير بعبقريته .. الكبير بأرائه .. الكبير بأقواله واعماله ..

عرفت أن الارض لم تعرف له مثيلا بعد أبن عمه النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

ففي الفصاحة والبلاغة هو اعظم من خطب وكتب وهو امام الفصحاء واستاذ البلغاء وبحق قيل فيه : كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق.

وهذا (نهج البلاغة) ينبوع من ينابيعه ،فما تمخضت العصور عن كتاب — بعد كتاب الله العظيم — أنفع واروع منه ، وحسبك ان تسمع قول الكاتب الزيات : ولا نعلم بعد رسول الله فيمن سلف وخلف افصح من علي في المنطق .

او تسمع قول الشيخ محمد عبده لبعض تلامذته : اذا رمت ان تكون كاتبا فخذ الامام امير المؤمنين استاذا ، واتخذ أقواله الدرية في ظلمات ليلك نبراسا .

وهذا عهده الذي كتبه الى عامله مالك بن الحرث الاشتر سنة ٣٧ هـ حين بعثه واليا على مصر هو أعلى مثال للحكم الديمقراطي في الاسلام ، ودستورا للسياسيين ونبراسا للعلماء والمتأدبين . وقد حوى أهم النظريات العلمية وأصوب الاراء الفلسفية في الاخلاق والاجتماع وأحدث المسائل القانونية في الحقوق الادارية [1] ومعنى الحكم وواجبات الحاكم .

ومن الطف ما قرأناه عن وصف نهج البلاغة كلام الفيلسوف الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية — في مقدمة شرحه للنهج فأرجع اليه ففي قراءته لذة وروعة .

---

(١) الفكيكي في (الراعي والرعية) .

وقال الشيخ ابراهيم اليازجي — اكتب كتاب العرب — ما اتقنت الكتابة الا بدرس القرآن العظيم ونهج البلاغة القويم ، فهما كنز العربية الذي لاينفد وذخيرتهما للمتأدب وهيهات ان يظفر اديب بحاجته من هذه اللغة الشريفة ان لم يحيى لياليه سهرا في مطالعتهما والتبحر في عالي اساليبهما.

وتزداد اعجابا اذا وقفت على ما رواه صاحب (كنز العمال) في الجزء الثامن ص ٢٢١ من سلاسل الخطبة الخالية عن (الالف) قال :

قال ابو الفتوح يوسف بن المبارك بن كامل الخفاف انبأنا الشيخ ابو الفتح عبد الوهاب — وساق السند الى أن قال : جلس جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون ، فتذاكروا أي الحروف ادخل في الكلام ، فاجمعوا على أن الالف اكثر دخولا في الكلام من سائرها .

فقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه فخطب هذه الخطبة على البديهة واسقط منها الالف وسماها الموقعة وقال :

حمدت وعظمت من عظمت منته ، وسبغت نعمته ، وسبقت رحمته غضبه، وتمت كلمته ، ونفذت مشيئته . اقول وذكرها بكاملها ، ورواها أيضا الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) . وقال غير واحد انه ارتجل خطبة . أخرى خالية من (النقطة) كما نقل (السروي) ذلك ورواه (ابن شهراشوب) في (المناقب) واروى بعض فقراتها كشاهد على ذلك .

الحمد لله أهل الحمد ومأواه ، وله أوكد الحمد واحلاه ، واسرع الحمد وأسراه ، واطهر الحمد واسماه ، واكرم الحمد واولاه الى آخرها .

ورواها ابن أبي الحديد في المجلد الرابع ص ٣٦٥ وقال : رواها كثير من الناس له عليه السلام ، ويصف الطاوس ذلك الوصف الدقيق ثم يصف النملة والجرادة والخفاش بالوصف الغريب العجيب واليك انموذجا من ذلك.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قال عليه السلام في صفة النملة [١] :

ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا الى الطريق وخافوا عذاب الحريق ، ولكن القلوب عليلة والبصائر مدخولة . الا ينظرون الى صغير ما خلق كيف احكم خلقه واتقن تركيبه ، وخلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر .

انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لاتكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبت على ارضها وصبت على رزقها ، تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرها لبردها ، وفي وردها لصدرها ، مكفول برزقها مرزوقة بوفقها ، لايغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس . ولو فكرت في مجاري أكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها ، وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا :

فتعالى الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها ، لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر . ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته مادلتك الدلالة الا على ان فاطر النملة هو فاطر النخلة .

وقال في صفة الخفاش [٢] .

ومن لطائف صنعته وعجائب حكمته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ، ويبسطها الظلام القابض لكل حي ، وكيف عشيت اعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها فهي مسدولة الجفون بالنهار على أحداقها وجاعلة الليل سراجا تستدل به في التماس ارزاقها ، فلا يرد أبصارها اسداف

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد مجلد ٣ ص ١٩٩ .

(٢) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ٤٥٤ .

ظلمته ، ولا تستنع من المضي فيه لغسق دجنته ، فاذا القت الشمس قناعها وبدت اوضاح نهارها اطبقت الاجفان على مآقيها ، وتبلغت بما اكتسبته من المعاش في ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهارا ومعاشا ، والنهار سكنا وقرارا ، وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران ، كأنها شظايا الاذان ، غير ذوات ريش ولا قصب ، الا أنك ترى مواضع العروق بينة أعلاما ، لها جناحان لم يرقا فينشقا ، ولم يغلظا فيثقلا ، تطير وولدها لاصق بها لاجيء اليها ، يقع اذا وقعت ، ويرتفع اذا أرتفعت ، لايفارقها حتى تشتد أركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه ، فسبحان الباري لكل شيء .

ومن يدرس نهج البلاغة يجد نفسه على ساحل بحر خضم يتدفق بشتى العلوم ، وليس عليٌّ هو الفصيح فحسب بل هو المصلح الروحي حيث يقول :

اقلع الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك .

ثم من لطافة نفسه وروحانيته يتبع هذا بقوله : عاتب اخاك بالاحسان اليه .

وهو الحكيم الاجتماعي الذي يقول : ما رأيت نعمة موفورة الا والى جانبها حق مضيع . ان الله سبحانه فرض في أموال الاغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير الا بما منع به غني ، والله سائلهم عن ذلك ، فكل ماحدثت من رجات فكرية وتبعثر في حياتنا الاجتماعية وتنظيمات حزبية لاترضى الله فهي من جراء بخل الاغنياء بحقوق الله (وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) وجميل قول امير الشعراء احمد شوقي بك :

ولم أر مثل جمع المال داء ... ولا مثل البخيل به مصابا

فلا تقتلك شهوته وزنها ... كما تزن الطعام او الشرابا

وخذ لبنيك والايام ذخرا ... واعط الله حصته احتسابا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عجبت لمعشر صلّوا وصاموا ظواهر خشية وتقى كـذابا
وتلفيهم حيـال المـال صما اذا داعي الزكـاة بهم اهابا
لقـد كتموا نصيب الله منه كـأن الله لم يحص النصابا

وهو المدره الذي يضع مقياسا لاختيار النفوس وميزانا لمعرفة الرجال فيقول :

الولايات مضامير الرجال • يقول الكاتب المعروف يوسف رجيب :

هذه كلمة قصيرة تضيق عن اداء غرضها عشرات الصفحات ، كلمة جمعت فأوعت ، ولعمري ما أجمل هذا التشبيه الرائع بل هذا التصوير الدقيق الفاتن في جملة : (الولايات مضامير الرجال) فأنها قانون في جملة •

ثم يعطينا الامام صورة عن المجتمع وكيف تذوب النفوس امام المطامع والمصالح الخاصة فيقول : اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع •

فها نحن نشاهد اكثر ما يصرع العقل الطمع والجشع ، وكم هانت الكرامات أمام المنصب ، وذلت النفوس تجاه المال وتبخرت المعنويات عندما لاحت بروق المادة • ثم يعطينا عليه السلام ابلغ الدروس في العزة والكرامة اذ أن معنى الانسان كرامته وشرف نفسه فيقول :

ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمنا •

وهذا ابلغ ما يقال في العزة وكبر النفس والترفع عن الدنايا • وكأن نفسية الامام معنية بقول القائل :

علي ثياب لو تباع جميعهـا بفلس لكانالفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها نفوس الورى كانت أعز واكبرا

ويحسن بنا أن نأتي شاهدا على ذلك بقول محمد بن ادريس فقيه الشافعية •

امطري لؤلؤا جبال سرنديب وفيضى آبار تكريـت تبرا

همتي همـة الملوك ، ونفسي نفس حر ترى المـذلة كفرا
انا أن عشت لست اعدم قوتا واذا مت لست اعـدم قبرا

وينظر الامام الى أهل الخير ومن تتمثل بهم الانسانية يقابلهم أهـل الشرور والمفاسد فيقول : فاعل الخير خير منه ، وفاعل الشر شر منه •

ذلك لأن الموصوف بالخير هو الذي يصدر منه الخير فهو خير من الخير بأعتباره السبب • وهكذا الشر •

وعندما يصف الغوغاء وسواد الناس تراه السياسي الذي سبر أحوالهم ودرس نفسياتهم بقوله : هم الذين اذا أجتمعوا ضَرّوا واذا تفرقوا نفعوا لأن باجتماعهم ترك أعمالهم ووقوف الحركـة العمالية ، وبتفرقهم مزاولة أعمالهم حيث يذهب كل الى عمله كرجوع البناء الى بنائه ، والخباز الى مخبـزه •

ومن الطف النصائح والروائع وتوجيـه الامة الى الجـد والنشاط وتحذيرها منالخمول والكسل قوله : احتج الى من شئت تكن أسيره ، واستغن عمن شئت تـكن نظيره واحسن الى من شئت تـكن أميره •

ويشفع ذلك بقوله : احتمال الفقر خير من احتمال الذل ، لان الصبر على الفاقة قناعة ، والصبر على الذل ضراعة •

ويلتفت الى أهل الحرص والطمع والبخل والجشع فيقول :

بشر مال البخيل بحادث او وارث • ويعود بالارشاد والنصح لارباب الثراء فيقول : كن سمحا ولا تكن مبذرا ، وكن مقدرا ولا تكن مقترا •

ويجعل للمؤمن علامة تشعر بايمانه وللاحمق صفة تحذر الناس من معاشرته والتورط بالتعرف عليه فيقول :

لسان العاقل من وراء قلبه ، وقلب الاحمق من وراء لسانه •

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي رواية : لسان المؤمن وراء قلبه ، وقلب المنافق وراء لسانه لان المؤمن العاقل لايقول حتى يفكر ، والمنافق الاحمق لايفكر حتى يقول، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه ، وكأن قلب الاحمق تابع للسانه .

ويرتفع بروحانيته وينقطع عن عالم المادة ويذهب بمثاليته مع الملائكة الروحانيين فيجعل العبادة ثلاثة أقسام حين يقول :

أن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار ، وهي افضل العبادة .

وقال في مناجاته : ما عبدتك خوفا من نارك ، ولا طمعا في جنتك ولكن رأيتك أهلا للعبادة فعبدتك .

وفي كتابه الى محمد بن أبي بكر ص ٦٧ من شرح النهج لابن ابي الحديد الطبعة الجديدة المجلد الثالث .

وأعلموا عباد الله ان المؤمنين المتقين قد ذهبوا بعاجل الخير وآجله ، شركوا أهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم يقول الله عز وجل (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة (١) سكنوا الدنيا بأفضل ماسكنت ، واكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا اهل الدنيا في دنياهم فأكلوا من أفضل ما يأكلون ، وشربوا من افضل ما يشربون ، ويلبسون من أفضل مايلبسون ، ويسكنون من أفضل مايسكنون، اصابوا لذة اهل الدنيا مع أهل الدنيا مع أنهم غدا من جيران الله عزوجل ، يتمنون عليه ، لايرد لهم دعوة ولا ينقص لهم لذة ، ان في هذا مايشتاق اليه من كان له عقل ، ويأتي على صفة الامام العادل فيقول :

لايقيم أمر الله سبحانه الا من لايصانع ولا يضارع ، ولايتابع المطامع .

(١) سورة الاعراف — ٣٢ .

ويتبع ذلك بقوله : ما ترك لي قول الحق من صديق . ويعطينا صورة عن عدله بقوله :

والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا أو أجرّ في الاغلال مصفدا احب اليّ من أن القى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام ، وكيف اظلم أحدا لنفس يسرع الى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها . وفي آخرها يقول : والله لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على أن اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته ، وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ، ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لاتبقى ، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين .

وقال : أقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر أو اكون اسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها او المرسلة شغلها تقمها تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها أو اترك سدى ، أو امهل عابثا ، أو اجر حبل الضلالة ، او اعتسف طريق المتاهة .

وفيها يقول :

فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ، ولا ادخرت من غنائمها وفرا ، ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا ، ولا حزت من أرضها شبرا ، بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين .

واستمع الى وصيته التي يوصي بها الجباة والعمال وما فيها من آداب سامية ورفق بالرعية .

انطلق على اسم الله وحده لاشريك له ، ولا تروعن مسلما ، ولاتجتازن عليه كارها ، ولا تأخذن منه اكثر من حق الله في ماله ، فاذا قدمت على

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الحي فأنزل بمائهم ، من غير أن تخالط ابياتهم ، ثم امضي اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ولا تحدج [1] بالتحية لهم ، ثم تقول: عباد الله ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم ، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه الى وليه ، فان قال قائل : لا،فلاتراجعه، وان انعم لك منعم فأنطلق معه من غير أن تخيفه ، او توعده او تعسفه او ترهقه ، فخذ ما أعطاك من ذهب او فضة ، فان كان له ماشية أو ابل فلا تدخلها الا بأذنه ، فان اكثرها له ، فاذا اتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ، ولا عنيف به ، ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ، ولا تسوأن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيره ، فاذا أختار فلا تعرضن لما أختاره ، وينفجر بركان الامام عليه السلام بالحكمة وما فيه صلاح الامة ، ويحصر نظام العالم بأربع كلمات بها قوام المجتمع فيقول لجابر بن عبدالله الانصاري رحمه الله :

يا جابر ، قوام الدين والدنيا بأربعة : عالم يستعمل علمه ، وجاهل لايستنكف ان يتعلم ، وجواد لايبخل بمعروفه ، وفقير لايبيع آخرته بدنياه .

ذكر عليه السلام الحكم ثم ذكر الفلسفة في الحكم فقال :

فاذا ضيع العالم علمه ، استنكف الجاهل ان يتعلم ، واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه ، ذاك رأي السياسي المحنك ، والذي عجم الدهر وخبره بتجارب عميقة ونظرات دقيقة ، وفلسفة بعيدة الغور ، واضحة المعنى جميلة المبنى .

ثم ينحو باللائمة على علماء السوء والمتلبسين بلباس أهل الدين والمتزيين بزي أهل العلم ، فيقول :

وآخر قد تسمى عالما وليس به ، فأقتبس جهائل من جهال ، واضاليل

(١) أي تبخل وتنقص .

من ضلال ، ونصب للناس شركا من حبائل غرور ، وقول زور ، قد حمل الكتاب على آرائه ، وعطف الحق على اهوائه ، يؤمن من العظائم ويهون كبير الجرائم ، يقول اقف عند الشبهات وفيها وقع ، ويقول واعتزل البدع وبينها اضطجع ، فالصورة صورة انسان ، والقلب قلب حيوان .

هذا الصنف الذي يكذب بمنطقه ، يكذب بزيه ، يكذب بلباسه ويظهر بمظهر ليس له ولا هو منه اقول ان هذا أشد على الامة من الف فاسق متظاهرا بفسقه مكشوفا للناس على حقيقته اما ذاك الذي تنتظر الامة منه ان يكون كالسراج .. كربان السفينة .. كالراعي .. واذا به مثالا سيئا وطماعا جشعا وحيوانا مفترسا ووحشا كاسرا قال ابن خفاجة :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم ... منها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى اصابوا فرصة ... في اخذ مال مساجد وكنائس

ويرى طبقة المتقشفين والذين لم تكن لهم حصانة علمية ولا بصيرة في نواحي العلم قد استولى الجمود على عقولهم ينقدح الشك لاول عارض من شبهة فكيف اذا توالت الشبه سيما وان الشبهة انما سميت شبهة لأنها تشبه الحق فيقول عليه السلام :

أن هؤلاء لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا . اذ أن كل ما في الفرو من منفعة هي التدفئة ، فاذا لبس مقلوبا فقد استعمل لغير ما وضع له ، مضافا الى ان لابسه يبدو مشوها وبصورة بشعة تمثل صورة الكبش ، وقد غطى الصوف كل جسده الا الرأس . ان هذا المنظر البشع هو صورة اولئك الذين شوهوا منظر العلم والدين ، وصاروا مثالا سيئا تنفر منه عامة الناس .

وسمع عليه السلام رجلا من الحرورية [1] أهل الجباه السود يتهجد

(١) الحرورية : الخوارج الذين خرجوا عليه بحروراء .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ويقرأ ، فقال :

نوم على يقين خير من صلاة في شك .

ان أفضل الزهد اخفاء الزهد .

ثم يخاطب عقول السواد محذرا لهم لئلا يختلط الحابل بالنابل فيقول :

المرء مخبوء تحت طي لسانه ، لاطيلسانه .

باصغريه قلبه ولسانه .

اخذ الاديب هذا المعنى فقال :

وما المرءالا اصغريه : لسانـه ومعقوله ،والجسم خلق مصور

فأن سر منه ما يروق ، فربمـا أمر مذاق العود ،والعود اخضر

ثم يضفي عليه السلام على الموضوع وضوحا وجلاءً فيقول :

الناس ابناء ما يحسنون ، وقيمة كل امرء ما يحسن ، فتكلموا في العلم تتبين اقداركم .

ان هذه العبارات الذهبية لم يسبقه أحد اليها ، فقد قال علماء البلاغة وارباب الفن : ليس هناك كلمة تدعو الى طلب العلم أجل من كلمة الامام: قيمة كل امرء ما يحسن . لذا نظموها اعجابا بها ، وكلفا بحسنها فمنهم الخليل بن احمد امام اهل اللغة اذ يقول :

لا يكون العـــلي مثـل الدنّي لا ولا ذو الذكـــاء مثل الغبي

(قيمة المرء قدر ما يحسن المرء) قضاء من الامـام عـــــلي

ولغيره :

قول علي بن أبي طـــالب وهو الامام العـالم المتقن

كـــل امرء قيمتـــه عندنا وعند أهـــل الفضل ما يحسن

ولهذه الطبقة الروحية صفات تتحلى بها وسمات تتصف بها من وداعة وعفة ونزاهة واخلاص اذ أنها القدوة للامة فيقول عليه السلام :

لو أن حملة العلم حملوه لحقه لاحبهم الله وملائكته واهل طاعته من خلقه ، ولكنهم حملوه لطلب الدنيا فمنعهم الله وهانوا على الناس [١] ومن اعذب ما قرأت من الشعر في هذا المعنى قول القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني حيث يقول :

يقولون لي فيـك انقباض وانما رأوا رجلا عن موقف الذل احجما

أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن اكرمتـــه عزة النفس أكرما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما

ولـــكن اهانوه فهـــان ودنسوا محياه بالاطمـــاع حتى تجهمـــا

هذه اضمامة من كلماته القصار وهي كنز من الادب والعلم والعرفان .

(١) رواها المؤرخ اليعقوبي في تاريخه ج٢ ص ١٨٢ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العالم الرباني

عندما يأتي على اصناف النـــاس وانغماسهم في الشهوات وركضهم وراء المشتهيات وطلبهم للشهرة والاثرة ــ وذلك بكلامه لصاحبه كميل بن زياد ــ يأتي على وصف الروحانيين والمتألهين والعلماء الربانيين فيقول :

هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعره المترفون ، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى ، اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه .

وما كان عليه السلام يعني بهذا الكلام الا نفسه وخير دليل على ذلك قوله في وصيته عند موته : « وانما كنت جارا قد جاوركم بدني اياما » فخص المجاورة بالبدن تنبيها على ان مصاحبتهم له بمجرد البدن ، وان نفسه متصلة بالملأ الاعلى .

فاذا ربطنا هذا الكلام بسابقه علمنا انه عنى نفسه بهذه العبارات .

ومن كلماته التي تترك الخيال يسمو بشخصيته ثم يعلو الى حد لانهاية له قوله :

لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقينا [1] . أي هذي هي النفس الكاملة المعرفة بالخالق عز وجل وذاك منتهى العظمة .

شخصية تكونت من نفس نورانية كهربائية وجسم سماوي لاتعلق لها بالارض الا من ناحيتها الانسانية فحسب .

---

(١) ولله در الامام البوصيري حيث يقول في همزيته العصماء .

لم يزده كشف الغطاء يقينـــا بل هو الشمس ما عليـــه غطاء

شخصية غريبة التركيب ، عجيبة الاسرار . عميقة الغور غير مفهومة . وغامضة مبهمة . ومن شدة الظهور الخفاء . أما حقيقته فكالشمس ماتعة مشرقة وصفاته كأنوار متألقة ساطعة [1] .

انـــت في منتهى الظهور خفي جل معنى علاك ما اخفاه [2]

بعد هذه التقدمة يبدو لنا ان هناك جوانب من حياة الامام مفقودة الحلقات لاجانب واحـــد . وبعد لم تدرس ولم تشبعها اقلام المفكرين بالبحث والتحليل ونواحي للعظمة لم تكتشف واسرار من بطولته لم يظهرها التأريخ.

لقد اشار هو عليه السلام اليها بقوله ساعة وفاته :

غدا ترون ايامي ويكشف الله عز وجل عن سرائري .

ولوح بذلك بل صرح كثير من الفلاسفة منهم الشاعر الحكيم جبران خليـــل جبران في كلمتـــــه حول الصورة التي رسمها للامام بريشته حيث قال : في عقيدتي ان ابن أبي طالب هو اول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرها ، وهو اول عربي تناولت شفتاه صدى اغانيها ، فرددها على مسمع قوم لم يسمعوا بمثلها من ذي قبل ، فتا هو ابين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم .

فمن اعجب بها كان اعجابه موثوقا بالفطرة ومن خاصمه كان من ابناء الجاهلية .

مات علي بن أبي طالب شهيد عظمته ، مات والصلاة بين شفتيه ، مات وفي قلبه الشوق الى ربه . ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام من جيرانهم الفرس اناس يدركون الفارق بين الجواهر والحصى .

---

(١) هذا البيت من قصيدة تربو على الستين بيتا كلها في مدح الامام عليه السلام ، وقائلها السيد باقر الهندي .

(١) الفكيكي في شرحه لعهد الامام .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مات قبل ان يبلغ العالم رسالته كاملة وافية • غير انني اتمثله مبتسما قبل أن يغمض عينيه عن هذه الارض •

مات شأن جميع الانبياء والباصرين الذين يأتون الى بلد ليس ببلدهم ، والى قوم ليس بقومهم ، في زمن ليس بزمنهم • ولكن لربك شأنا في ذلك وهو أعلم

هذا ما قاله الفيلسوف جبران وليتني اعلم ما يريد بكلمته (مات قبل ان يبلغ العالم رسالته كاملة وافية) •

الذي يظهر من بين ثنايا هذه الكلمات • ومن قوله عليه السلام :

غدا ترون ايامي ويكشف الله عز وجل عن سرائري • كأنه يريد ان يقول لقد عشت بينكم عيشة الغريب الذي يقضي شطرا من عمره بين قوم لايعرفون قدره ولايوفونه حقه •وهذا من اعظم ما يقع على الروح من تعذيب•

جاء في تفسير قوله تعالى — حاكيا عن سليمان بن داود — (مالي لاارى الهدهد) (لأعذبنه عذابا شديدا أولا ذبحنه أوليأتيني بسلطان مبين) [1] •

قالوا : عني بالعذاب الشديد ان يحبسه مع غير جنسه • قالوا ان سليمان حبسه مع الحداة في قفص واحـد ، فلما نظر الهدهد الى كثافة طبعها ورقة طبعه وحسن منظره وقبح منظرها ، هاله ذلك وطلب من سليمان ان يخرجه من ذلك القفص ويعذبه اشد العذاب، فكل عذاب اهون مما هوفيه•

أقول وهناك اقوال للامام عليه السلام يرسلها عندما يضيق صدره وعندما يخلو بأحد خاصته وحملة علومه ومستودع اسراره امثال كميل بن زياد رحمه الله — وكميل من الابدال ، وعى علما كثيرا •

قال كميل :اخذ بيدي امير المؤمنين فأخرجني الى الجبان ، فلما اصحر [1] •

(١) النمل — ٢١ •

(١) أي صار في الصحراء •

تنفس الصعداء — اي جذب النفس من اقصى رئتيه ، سجية المغموم المكلوم وانفجر عن تلك الكلمات الذهبية والعقود الدرية والمعاني العرفانية فقال : ياكميل ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها ، فأحفظ عني ما أقول لك ، الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع ، اتباع كل ناعق ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق •

ثم أبان له شرف العلم وشرف أهله واثر العالم في المجتمع وامتيازه على المال ، وانحى باللائمة على من يفضل المال على العلم • ثم وضع الامام عليه السلام يده الشريفة على صدره المكرم فقال :

ان هاهنا لعلما جما ، لو أصبت له حملة •

هذا كلام عالم خبير يريد أن يجد طلابا لعلومه فلم يجد ، وعبقريا يحاول أن يوجد الوعي واليقظة في أمته فلم تشعر الامة بما يرمي اليه ، وخريتا يتأسف ان يحرم المجتمع من معارفه وفيوضاته •

جاء في مجلة (رسالة الاسلام) التي تصدرها دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة تحت عنوان : كلمة أنفرد بها الامام (ع) •

سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا اعلم بطرق السماء منى بطرق الارض وقد اجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة ، ولا احد من العلماء : سلوني • غير الامام ، كما ذكره ابن عبد البر في كتاب (الاستيعاب) والمراد بذلك ما اختص به من العلم بمستقبل الامور ، ولا سيما في الملاحم والدول ، وقد صدق هذا القول ما تواتر عنه من الاخبار بالغيوب المتكررة لأمرة ولامائة مرة ، حتى زال الشك والريب في أنه اخبار عن علم ، وانه ليس على طريق الاتفاق ، وقد تأولهقوم على وجه آخر ، قالوا أراد بالاحكام الشرعية والفتاوي الفقهية أعلم مني بالامور الدنيوية فعبر عن تلك بطرق السماء لانها احكام الهية ، وعبر عن هذا بطريق الارض لانها من الامور

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الارضية ، قال ابن أبي الحديد والاول اظهر ؛ لأن فحوى الكلام وأوله يدل على أنه المراد انتهى .

ولو كان ابن أبي الحديد وغيره في قرن العشرين وشاهدوا تسابق الدول على اكتشاف الفضاء وبذلهم الملايين في سبيل الصعود الى الاقمار لايقنوا يقينا لاريب فيه ان الامام عليه السلام ما أراد بكلامه : سلوني عن طرق السموات . الا الاخبار عن عجائب الفضاء .

وعندما استمع احد علماء اوربا الى كلمة الامام (سلوني قبل ان تفقدوني) سلوني عن طرق السماوات . قال :

ان هذا الرجل — يعني عليا — لاشك انه كان عالما بذلك ولو كان غير عالم لما كرر هذا القول ، فعندما يعجز عن الرد على سؤال واحد لم يعد يقول ولو سألوه عن المريخ أو الزهرة او عن كرة القمر لاجابهم بما عنده من العلوم السماوية ، لانه كان يطلب ذلك عينا دون غيره ، ولوسئل عن ذلك لما تعبنا اليوم ونحن ننصب (التلسكوبات) وآلات التكبير لكشف جرم واحد من هذه الاجرام السماوية فلم تتوصل اليه وهذا من علوم الامام التي سبق بها الزمن .

اذن يحق لنا ان نقول ان امير المؤمنين عليا عليه السلام اول من دعا الى ملاحة الفضاء قبل اكثر من ثلاثة عشر قرنا واليك ما رواه الشيخ الطريحي [1] في كتاب (مجمع البحرين) ص ١٢٨ في مادة (كوكب) : قوله عليه السلام : .

هذه النجوم التي في السماء مدائن كالمدائن التي في الارض ، ترتبط كل مدينة منها بعمود من نور ، طول كل عمود مسيرة مائتين وخمسين عاما في السماء

(١) هو من علماء القرن الثاني عشر .

يريد بذلك الجاذبية الشمسية التي تنتظم السيارات بها وتدور حولها

وروى الحديث نفسه علامتنا السيد هبة الدين الحسيني في كتابه (الهيئة والاسلام) نقلا عن موسوعة (بحار الانوار) للشيخ المجلسي المتوفي سنة ١١١١ هـ في الجزء الرابع عشر منه وقال السيد معلقا على الحديث :

ظاهر الخبر يرشدنا الى وجود مدن وعمران في الكرات السماوية ، وهو مستلزم لوجود الاهالي والسكان، كماظهر ذلك للمتأخرين في نجمة المريخ.

وقوله عليه السلام : مربوطة بعمود من نور قد يكون اشارة الى تأثير جاذبية الشمس في حفظ نظام النجوم السيارة ، واتصال حامل الجاذبية بالنجوم على نحو الخط العمودي كما اتفق عليه الحكماء المتأخرون اجمع .

ولا يفوتنا أن نشير الى ان الذي لفت نظر الامام عليه السلام ووجهه وارشده الى دراسة السماء هو القرآن العظيم اذ أن الامام هو تلميذ محمد وخريج مدرسة القرآن ، سيما وان القرآن طالب وكرر الطلب بدراسة السماء والارض وما فيهما .

قل انظروا ماذا في السموات والارض ، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون [1] .

او لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى أن يكون قد اقترب اجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون [2] .

وكأي من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون [3] .

والآيات التي تنص على النظر في السماء والارض والمشابهة لهذه الآيات كثيرة وكلها تدل على اهتمام القرآن بهذه الدراسات وتكررت في

(١) سورة يونس — ١٠١ .
(٢) سورة الاعراف — ١٨٥ .
(٣) سورة يوسف — ١٠٥ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القرآن ٣١٩ مرة •

وأخذ اليوم علماء الارض يدرسون أسرار السماء واكتشاف الفضاء •

ثم استلفت الجليل جل وعلا انظار عباده الى عجائب السماء وما فيها من أبداع فجعل يقسم بها حيث ان القسم لايكون الا بعظيم •

والسماء ذات البروج •

والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق ، النجم الثاقب •

فلا اقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم •

فلا اقسم بما تبصرون وبما لاتبصرون •

وقال عليه السلام :

اندمجت على مكنون علم ، لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيد •

واندمجت احتويت •

على مكنون أي مخزون علم لاتحتمله سائر العقول •

لو ابوح به كله لاضطربتم من الدهشة والاعجاب اضطراب الحبال في الابار البعيدة العميقة •

اذ كان ذلك من العلوم والاسرار التي استودعها النبي عنده لقابليته دون غيره •

فقد قال : علمني رسول الله الف باب من العلم ، يفتح لي كل باب الف باب ، يفضي كل باب الى الف الف عهد •

وكل ما يصل اليه فكري القاصر أن النبي الاعظم علمه أسرار القرآن فأن معاني القرآن لاتتناهى ولا تقف عند حد لذلك كان القرآن هو المعجز الخالد مدى الدهور والعصور •

وقد حدثنا عبدالله بن عباس — حبر الامة وامام المفسرين وتلميذ أمير المؤمنين — قال : علم النبي من علم الله ، وعلم علي من علم النبي ، وعلمي من علم علي ، وما علمي وعلم الصحابة في علم علي الا كقطرة في سبعة أبحر • وانه أخذ بيدي ليلة مقمرة فخرج الى البقيع بعد العشاء ، وقال : اقرأ يا عبدالله ، فقرأت : بسم الله الرحمن الرحيم وتكلم في أسرار الباء الى بزوغ الفجر • فكان عبدالله بن عباس بعد ذلك يقول : لاتفسروا القرآن ، الزمان يفسره •

وقد استمد ذلك من استاذه ومعلمه امير المؤمنين علي عليه السلام حيث كان يقول : ان في القرآن معانيا سوف يكشفها الزمن •

وكان يقول : سلوني قبل ان تفقدوني ،فو الذي نفسي بيده لاتسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة الا انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلا ومن يموت منهم موتا •

ولما عزم على قتال الخوارج قيل له : ان القوم قد عبروا جسر النهروان قال : مصارعهم دون النطفة ، والله لايفلت منهم عشرة ، ولا يهلك منكم عشرة • قال : ابن أبي الحديد : فلم يقتل من أصحاب الامام الا ثمانية ، ولم ينج من الخوارج الا تسعة •

قال الشريف الرضي رحمه الله : يعني بالنطفة ماء النهر ، وهي افصح كناية عن الماء وان كان كثيرا جما •

وله كلام يومي به الى وصف (الاتراك) وفتنة (الزنج) وذكر «التتر»

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فقام اليه بعض أصحابه فقال له : لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب .
فضحك عليه السلام وقال للرجل : ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم ، وانما علم الغيب علم الساعة وما عدد الله سبحانه بقوله : ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير [1] .

فهذا علم الغيب الذي لايعلمه أحد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله لنبيه فعلمنيه ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي .

وأخبر عليه السلام عن حكم الحجاج وظلمه ومايتزل بالعراق من تعسفه .

أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال ، يأكل خضرتكم ويذيب شحمتكم ، ايه ابا وذحة .

قال الشريف الرضي رحمه الله ، الوذحة : الخنفساء ، وهذا القول يرمي به الى الحجاج ، وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره .

وكان اخباره عليه السلام قبل ولاية الحجاج بأكثر من خمسة وثلاثين سنة فقد كانت ولاية الحجاج على العراق سنة خمسة وسبعين من الهجرة واامير المؤمنين قتل سنة اربعين .

وله عليه السلام من الاخبارات الغيبية والتنبوأت العجيبة ما تشرحه خطبه في (الملاحم) عدد ابن أبي الحديد جملة منها ولعلها تزيد على المائة .

قال الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا [2] :

---

(١) لقمان — ٣٤ .

(٢) هو اعظم معلمي بلاد الغرب ، وكتابه — القانون — كان ولم يزل منارا للطب في الشرق والغرب ، وبلغت مؤلفاته مائة وسبعين مؤلفا في سائر العلوم . ولد ببلخ عام ٣٧٠ هجرية نشأ وتعلم ببخارى وتقلد الوزارة في همدان ومات بها عام ٤٢٨ ، وعمره ثمان وخمسون سنة .

كان علي من العلوم في المحل الذي لاتحلق اليه البشر . واذا درسنا الفيلسوف ابن سينا — المعلم الثاني — ومكانته العلمية عرفنا قيمة هذه الشهادة منه بحق الامام علي عليه السلام .

وهنا يقف الفكر متأملا مستغرقا في عباب من العجب كالتائه الذي يطلب الاهتداء الى سبيل الصواب او انه يصل الى حد الخيال .

ولكن عندما يعلم ان القرآن فيه تبيان كل شيء (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) وانه نزل على سبعة أبطن وسبعة اظهر أو على سبعين بطنا وسبعين ظهرا .

قالوا أن المراد بها المعاني او التأويلات او التفاسير او المصاديق وانها تخفى عن نظر عامة الناس وتختص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد اطلع عليها عليا فهو يحكم بأحد هذه حسب اقتضاء المقامات والمناسبات .

قال ابن مسعود : ان القرآن نزل على سبعة أحرف ، ما منها حرف الا وله ظاهر وباطن وان عليا عنده علم الظاهر والباطن .

يقول الامام امير المؤمنين : ان في القرآن علم ما يأتي ، والحديث عن الماضي ، ودواء دائكم ، ونظم ما بينكم .

يريد عليه السلام ان يقول :في القرآن كل ما يحتاجه البشر وحتى ماجاءبه العصر الحديث من مكتشفات ومخترعات ، وفيه الطب النفسي والبدني والوقائي وكل ما تحتاجونه من نظم وتشريعات سياسية وثقافية واجتماعية وفيه غذاء الروح والعقل ولما كان الامام هو العالم الاول بأسرار القرآن والمخبر عن نفسه بقوله :

والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيمن نزلت ،واين نزلت ، وعلى من نزلت .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقال عليه السلام : أنا النقطة .

قال السيد الامين في موسوعته (اعيان الشيعة) :

وعنه أخذ الناس علم التفسير وعلوم القرآن ، وانه أملى كتابا فيه ستون نوعا من أنواع علوم القرآن ، وذكر لكل نوع منها مثالا يخصه ، وانه الاصل لكل من كتب في أنواع علوم القرآن .

أقول وجاء متواترا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال :

قسمت الحكمة على عشرة اجزاء ، فاعطي علي تسعة اجزاء ، والناس جزءاً واحدا .

اخرجه اخطب خوارزم في (المناقب) ص ٤٩ والحافظ ابو نعيم في (حلية الاولياء) ج١ ص ٦٥ . وخرجه ابن كثير في (البداية والنهاية) ج٧ ص ٣٥٩ .

واذا عرفنا ان الحكمة هي معرفة حقائق الاشياء تبين لنا فضل الامام وافضليته ، واتضحت عظمته وسعة معارفه وآفاقه .

وفي كثير من خطبه ورسائله وكتبه يصرح بملازمته للنبي وتلقى الكمالات عنه وأخذ علومه منه ففي خطبته القاصعة — وهي من أجل خطبه ، قد طفحت بالبلاغة وتجلت بالاعجاز والحكمة يقول :

وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وانا وليد ، يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم — من لدن أن كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ، ليله ونهاره . ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمه ، يرفع لي كل يوم من اخلاقه علما ، ويأمرني

بالاقتداء به .

ولقد كان يجاور في سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، واشم ريح النبوة ، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ، فقلت يارسول الله ما هذه الرنة ، قال هذا الشيطان قد ايس من عبادته .

انك تسمع ما اسمع ، وترى ما أرى الا انك لست بنبي ولكنك وزير . وانك لعلى خير .

فليتأمل المنصف بما لهذه التربية من اثر ، وبما في هذا الكلام من معنى ، وليطل التفكير في قول الرسول :

انك تسمع ما اسمع ، وترى ما ارى ، الا انك لست بنبي ولكنك وزير ، وانك لعلى خير .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سيد الابطال

قال ابن أبي الحديد : اما شجاعة علي فقد انسى فيها ذكر من كان قبله ، ومحا اسم من يأتي بعده .

ولو تصفحنا حياة الابطال وعددنا مواقف الشجعان ، واستعرضنا مواقفهم لاخبرنا التاريخ ان هذا فرَّ يوم كذا ، وذاك نكص في حرب كذا ونكص عن منازلة فلان . ولكن لاتكاد تجد هذا في كل مواقف الامام امير المؤمنين عليه السلام ، فهو بطل الابطال واشجع الرجال . وهو كرار غير فرار على حد ما وصفه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر اذ قال : لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، كرار غير فرار .

فلم تشهد الغبراء ولم تظل السماء ، اشجع منه ، فعلى ذلك الساعد الاجدل اعتمد الاسلام [1] وعلي هو القائل :

والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ، ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها . وفي الحديث كانت ضرباته وترا .

يقول ابن أبي الحديد : وجملة الامر أن كل شجاع في الدنيا اليه ينتهي وبأسمه ينادي في مشارق الارض ومغاربها ، وتالله لو تجسمت الشجاعة وتمثلت في شخص لكان ذلك الشخص هو امير المؤمنين علي بن أبي طالب بل لو عرفه قدماء اليونانيين لاتخذوه آلها للشجاعة في جملة آلهتهم التي عبدوها ، وكانت شجعان الدنيا تصور صورته على أسيافها يتفألون بأسمه بالنصر والظفر ، وكان على سيف آلب ارسلان وابنه ملك شاه صورته ،

(١) العبارة للاديب الكاتب (بولس سلامة) في ملحمته (عيد الغدير).

وكانت تصور ملوك الافرنج صورته على اسيافها [1] .

ولنستمع الى أقواله في حروبه موصيا جنده باعثا فيه روح النخوة والاقدام :

أيها الناس ان الموت طالب حثيث لايفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ، والله لألف ضربة بالسيف اهون علي من ميتة على الفراش . ثم رفع صوته صارخا بأوساط الجيش :

الموت ، في حياتكم مقهورين . والحياة ، في موتكم قاهرين .

وهو القائد الملهم الذي اعطى لقواد الجيوش دروسا في البسالة والشجاعة شأن الابطال الممارسين للحروب وكان مما اوصى به ولده محمد ابن الحنفية ، وكان يحمل الراية العظمى في حرب البصرة اذ قال له تزول الجبال ولاتزل ،عض على ناجذك ،أعر الله جمجمتك .تدفي الارض قدمك ،ارم ببصرك اقصى القوم ، وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله .

انه ينفح فيه روح الشجاعة وينبهه الى ما يجب ان يكون عليه القائد اذ الجيش يستمد قوته وثباته من روح قائده،يأمره أن يكون ثابتا لايتزلزل حتى ولو زال الجبل وتضعضعت اركانه لما كان للقائد أن يزول من مكانه

(١) ان شراح نهج البلاغة يزيد عددهم على الثمانين . وفي مقدمتهم او في المحلقين منهم هو العلامة الكبير أبي حامد عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي المتوفي سنة (٦٥٥) هـ فموسوعته كدائرة معارف وهي تشتمل على عشرين جزءاً . طبعت في مصر وفي ايران وفي لبنان ثم اعيد طبعها في مصر حديثا .

والمقدمة التي كتبها الشارح للموسوعة لو افردت لكانت رسالة قائمة بنفسها .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بأعتباره الحجر الاساسي للجيش اذا تداعى فقد تداعى سائر البناء .

ثم قال له : عض على ناجذك وهو اقصى الاضراس لتتصلب عروق الهام ، وكثيرا ما تنبو السيوف عنها وليستثير روح النخوة في أفراد الجيش اذا نظروا الى القائد مزمجرا محتدما عاضا على أضراسه كالليث الغضبان .

وبعدها قال : اعر الله جمجمتك اي اجعل جمجمتك لله عاريه ، وهذا اشارة خفيفة وعبارة لطيفة من أنك لاتقتل ، لأن العارية مردودة ولو أنه قال له : هب الله جمجمتك لكان اشعارا له بالشهادة حيث ان الهبة لاترد بخلاف العارية .

اما قوله عليه السلام : تدفي الارض قدمك اي اجعل قدمك كالوتد في الارض ثابتا ليس من السهل قلعه .

ثم أراد من هذا القائد أن تقوى معنوياته بأن يحدق ببصره نحو الاعداء فقال : ارم ببصرك اقصى القوم ذلك دليل القلب الثابت والشجاع بكل جوارحه بخلاف الرعديد المتماوت والجبان المتخاذل . ففي تحديق بصره رهبة العدو ، وانه يكاد بمثل هذه الهمة والعزيمة ان يختطف من هو في اقصى الجيش كأنه لايرضى منه ان يتناول الكتيبة الامامية من المقاتلين حتى طلب منه ان يشق الكتائب ويقضي على آخر كتيبة .

ثم بعد ان أمره ان يرمي ببصره الى اقصى القوم قال : وغض بصرك أي لاتعبأ بوقع السيوف ولمعانها وزمجرة السلاح وصليله .

وفي آخر هذه الوصايا الحربية : واعلم ان النصر من عند الله فان كل حي انما يموت بأجله المحدود ويومه الموقت له كما كتب هو عليه السلام على درعه .

أي يومي من الموت افر يوم لاقدر ام يوم قدر
يوم لاقدر لا ارهبه ومن المقدور لاينجي الحذر

اما موقفه يوم الخندق فكان يعادل عبادة الثقلين اذ لم يضرب أحد

بسيف أو يطعن برمح سواه فالحرب والنصر كله بأسمه وكان هو الايمان كله وقد قابل الشرك كله فقضى عليه .

أما موقعة أحد التي سبقتها ففيها قال الشاعر الماهر الشيخ كاظم الازري في ملحمته الغراء :

ذاك يوم جبريل انشد فيه مدحا ذو العلى له انشاها
لافتى في الوجود الا علي ذاك شخص بمثله الله باها

نادى جبرئيل لاسيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي ، انظر تاريخ ابن جرير الطبري ج٢ ص ١٩٧ بأسناده عن أبي رافع عن ابيه عن جده قال :

لما قتل علي بن أبي طالب اصحاب الالوية ، ابصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من مشركي قريش فقال لعلي ، احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي ، قال : ثم ابصر رسول الله جماعة من مشركي قريش فقال لعلي : احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك . احد بني عامر بن لؤي ، فقال جبرئيل يا رسول الله ان هذه للمواساة ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : انه مني وانا منه. فقال جبرئيل : وانا منكما ، قال : فسمعوا صوتا : لاسيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي ، واستمع اليه وهو يوصي جيشه وصية القائد المحنك الخبير بفنون الحروب ومكائد الاعداء ، فأن الحرب خدعة . قال :

فاذا نزلتم بعدو ، أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الاشراف — الاعالي — وسفاح الجبال ، او أثناء الانهار ، كما يكون لكم ردءا ، ودونكم مردا .. واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال — مرتفعاتها — ومناكب الهضاب ، لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن .. ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد او اثنين . واياكم والتفرق ، فاذا نزلتم فأنزلوا جميعا ، واذا غشيكم الليل فأجعلوا الرماح كفة — أي مستديرة ككفة الميزان — ولاتذوقوا النوم الا غرارا — أي قليلا — .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بطولة وأريحية

وما كانت بطولة الامام وفروسيته ميالة للفتك والاستعلاء والشموخ والكبرياء او التبجح والخيلاء فكثير من ابطال الحروب يباهي بفروسيته ويختال بقوة عزيمته وبسالته وشجاعته لكن الامام كانت شجاعته ممزوجة بالاريحية فكان لايجهز على جريح ، ولا يتبع مدبرا ، ولا يقتل مستسلما ، ولا يبدأ بقتال ، وكان يوصي ولده الحسن عليه السلام قائلا :

لاتدعون الى مبارزة ، فان دعيت اليها فأجب ، فان الداعي اليها باغ والباغي مصروع .

قال ابن أبي الحديد : ما سمعنا أنه عليه السلام دعا الى مبارزة قط ، وانما كان يدعى هو بعينه ، أو يدعى من يبارز فيخرج اليه فيقتله .

دعا بنو ربيعة بن عبد شمس بني هاشم الى البراز يوم بدر فخرج عليه السلام فقتل الوليد ــ خال معاوية ــ واشترك هو وحمزة في قتل شيبة ودعا طلحة بن أبي طلحة العبدري الى البراز يوم احد فخرج اليه فقتله .

ودعا مرحب الى البراز يوم خيبر فخرج اليه فقتله .

اما الخرجة التي خرجها يوم الخندق الى عمرو بن عبدود فأنها اجل من ان يقال جليلة ، واعظم من أن يقال عظيمة . وهي تعادل عبادة الثقلين [1] .

---

(١) روى الحاكم في (المستدرك على الصحيحين) ج٣ ص ٣٢ بسنده عن سفيان الثوري عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبدود يوم الخندق افضل من اعمال امتي الى يوم القيامة .

ورواه الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج١٣ ص ١٩ . وذكر الفخر الرازي في (تفسيره الكبير) في ذيل تفسير سورة القدر .

قال صاحب (السيرة الحلبية) لما قتل علي عمروا واقبل ، قال لهعمر بن الخطاب : هلا سلبته درعه ، فأنها ليس في العرب درع مثلها .

فقال : اني استحيت ان أكشف سوأة ابن عمي . [1] .

فما اعظم هذه الاريحية واجل هذه النفس واكبرها وما أحراها بقول القائل : ان الاسود أسود الغاب همتها.. يوم الكريهة في المسلوب لا السلب.

وقالت : أخت عمرو بن عبدود : من الذي اجترأ على أخي ، قيل لها هو علي بن أبي طالب .

قالت : لارقأت دمعتي ان هرقتها عليه ، قاتل الابطال ومبارز الاقران وكانت منيته على يد كفو كريم ثم انشأت تقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت ابكى عليه دائم الابد

لكن قاتله من لايعاب به ... ابوه قد كان يدعى بيضة البلد [2]

وقيل له عليه السلام في بعض حروبه : اذا جالت الخيل اين نطلبك ، قال : حيث تركتموني فأني لا أفر ولا اتبع فارا . وقيل ان درعه كانت لاظهر لها . قالوا له أنا نخاف عليك ان تؤتى من قبل ظهرك ، فقال عليه السلام : اذا أمكنت عدوي من ظهري فلا ابقى الله عليه ان ابقى علي .

وحمل يوم صفين فطعن عمرو بن العاص فوقعت الطعنة في ذيل درعه ، فأستلقى عمرو على قفاه ورفع رجليه وأبدى عورته فصرف عنه علي وجهه يقول عبد الباقي العمري الموصلي في ملحمته .

وليلة الهرير قد تكشفت ... عن سوأة ابن العاص لما غلبا

فحاد عنه مغضبا حيدرة ... وعف ، والعفو شعار النجبا

---

(٢) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص ٣٢ والشبلنجي في (نور الابصار) ص ٧٩ .

(١) المستدرك على الصحيحين ١ ٣٠ ص ٣٣ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولو يشار كب فيه زجه تركيب مزجي كمعدي كربا

ومثل هذا صنع بسر بن ارطاة لما اعترض امير المؤمنين قائلا : هلم اليّ أبا الحسن فأنحدر اليه امير المؤمنين — وكان بسر مدججا بالحديد لايعرف — فطعنه ،فألقته الطعنة على الارض فكشف عن سوأته فاعرض عنه امير المؤمنين ووثب بسر قائما فسقط المغفر عن رأسه ، فصاح الناس يا امير المؤمنين انه بسر بن ارطاة ، فقال : ذروه فعليه لعنة الله .

فصاح فارس من أهل العراق : يا أهل الشام اما تستحون ، اهو حرب أم كشف عورات ثم انشد :

افي كل يوم فارس تندبونه له عورة وسط العجاجة باديه
يكف بها عنه على سنانه ويضحك منها في الخلاء معاويه
فقولا لعمرو وابن ارطاة ابصرا طريقيكما لاتلقيا الليث ثانيه
متى تلقيا الخيل المشيحة غدوة وفيها على فاتركا الخيل ناحيه

وقال ابو فراس الحمداني في قصيدته الشهيرة :

ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوما بسوأته عمرو

رأى معوية فرسان العراق — وفيهم علي امير المؤمنين — فصمم على ان يستعين عليهم بالعطش فسبق الى المشرعة والقى القوة الكافية عليها واشاع بين اهل الشام ان عثمان قتل عطشانا وان عليا منع الماء عنه ومكث عسكر الامام يوما وليلة بغير ماء — بالرغم من أن الماء لايمنع عن كل ذي روح ، والناس في الماء شرع سواء [1] .

وسمع صوت في جيش الامام في هدأة الليل .

ايمنعنا القوم ماء الفرات وفينا الرماح وفينا الحجف
وفينا الشوازب مثل الوشيج وفينا السيوف وفينا الزغف
وفينا علي له سورة اذا خوفوه الردى لم يخف

(١) جاء في الحديث الشريف : الناس شرع سواء في الماء والكلاء .

عندها ارسل عليه السلام جماعة من ابطال العراق ففتحوا المشرعة ، فقال معوية لابن العاص : ما ظنك ايمنعنا علي من الماء كما منعناه فقال : ان عليا لايستحل منك ما استحللت منه .

وقال جماعة : يا امير المؤمنين الا نمنعهم من الماء كما منعونا .

فقال : لا احرم عليهم ماء احله الله عليهم .

وترك الشريعة مباحة للعسكرين . وما أجمل قول شهاب الدين ابو الفوارس سعد بن محمد بن سعد الصيفي التميمي ، المتوفي ٦ شعبان ٥٧٤ ببغداد .

ملكنا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم ابطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما غدوناعن الاسرى نعف ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل اناء بالذي فيه ينضح [1]

قال عليه السلام : لقداستلذذت العفو حتى ظننت ان الله لايؤجرني عليه .

(١) قال ابن خلكان قال الشيخ نصر الله بن مجلي (مشارف الصناعة بالمخزن) وكان من ثقاة أهل السنة ، رأيت في المنام علي بن أبي طالب ، فقلت له يا امير المؤمنين تفتحون مكة فتقولون : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف ما تم ، فقال : اما سمعت ابيات ابن الصيفي في هذا ، فقلت لا ، فقال اسمعها منه ، ثم استيقظت فبادرت الى دار (حيص بيص) فخرج الي ،فذكرت له الرؤيا فشهق واجهش بالبكاء ، وحلف بالله ان كانت خرجت من فمي أو خطا الي أحد ، وان كنت نظمتها الا في ليلتي هذه ، ثم انشد الابيات .

بيان : وانما قيل له : حيص بيص لانه رأى الناس يوما في حركة مزعجة وامر شديد ، فقال : ما للناس في حيص بيص فبقى عليه هذا اللقب . ومعنى هاتين الكلمتين : الشدة والاختلاط .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ظفر بمروان بن الحكم — وهو عدوه الالد — فعفى عنه • وظفر بعبدالله ابن الزبير فعفى عنه وقال : عفوت عن كل الناس •

وعثر به الفرس في بعض حملاته يوم صفين — وكان عمرو بن العاص على مقربة منه — فأنشد عمرو يصف عثرة الفرس •

لـم يعثر الفرس الميمون غرته سهوا وفي يدك اليسرى شكائمه
لكنه مذرأى الاملاك ساجدة لمجد عليك لم تثبت قوائمه (١)

(١) عن مجلة العرفان اللبنانية مجلد ٤٠ ص ٢٠٦ •

جامع الاضداد

عرفت من الفصل المتقدم ان عليا فارس حروب ومنازل اقران وخواض غمرات ومرهب شجعان وصاحب سيف وسنان فهل يخطر ببالك ان يكون الى جنب كل ذلك اعظم الزهاد واعبد العباد وما ترك صلاة الليل حتى في ساحات الحروب • قال ابن أبي الحديد : وما ظنك برجل بلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده ، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يمينا وشمالا فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من ورده ، وانت اذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص وفهمت من أي قلب خرجت ، وعلى أي لسان جرت •

قال : ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الاوراد ، وقيام النافلة ، وانه يقطع الليل قائما والنهار صائما • واليك انموذجا من دعواته ومناجاته :

الهي ان طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا براج غير غفرانك ولا بمؤمل غير رضوانك • آه ان انا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وانت محصيها فتقول خذوه فيا له من مأخوذ لاتنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته ، يقول ابو الدرداء : سمعته يناجي ربه بهذا في غلس الليل ثم انغمر بالبكاء وخفى صوته فلم اسمع له حسا ولا حركة فقلت غلب عليه النوم ، اوقظه لصلاة الفجر فأتيته واذا هو كالخشبة الملقاة حركته فلم يتحرك زويته فلم ينزو فقلت مات والله علي بن أبي طالب ، فأقبلت مبادرا الى منزله اتعاه الى أهله فأخبرتهم ، فقالوا : هذه الغشية التي تأخذه كل يوم من خشية الله ، واقبلوا اليه وصبوا الماء على وجهه افاق ، ونظر الي وانا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ابكى فقال :

كيف بك يا أبا الدرداء لو نظرت الي وقد دعي بي الى الحساب وقد ايقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ لكنت أشد رحمة لي بين يدي الجبار الذي لاتخفى عليه خافية ، وكان من دعائه في الليل .

وليت شعري ياسيدي والهي ومولاي ، اتسلط النار على وجوه خرّت لعظمتك ساجدة وعلى السن نطقت بتوحيدك صادقة ، وبشكرك مادحة ، وعلى قلوب اعترفت بألهيتك محققة ، وعلى ضمائر حوت من العلم بك حتى صارت خاشعة ، وعلى جوارح سعت الى اوطان تعبدك طائعة . ما هكذا الظن بك ، ولا اخبرنا بفضلك عنك ياكريم ، يارب وانت تعلم ضعفي عن قليل من بلاء الدنيا وعقوباتها وما يجري فيها من المكاره على أهلها ، على ان ذلك بلاء ومكروه ، قليل مكثه يسير بقاؤه ، فكيف احتمالي لبلاء الآخرة ، وهو بلاء تطول مدته ويدوم مقامه ، ولا يخفف عن أهله ، لانه لايكون الاعن غضبك وانتقامك وسخطك ،فكيف بي وأناعبدك الضعيف

ويعود الى توسله وتضرعه . فبعزتك يامولاي اقسم صادقا ، لأن تركتني ناطقا لاضجن اليك بين أهلها ضجيج الآملين ، ولا صرخن اليك صراخ المستصرخين ولا بكين عليك بكاء الفاقدين ، اولانا دينك اين كنت ياولي المؤمنين ،ياغاية آمال العارفين ،ياغياث المستغيثين ويا حبيب قلوب الصادقين. ويجري على هذا الاسلوب من الدعاءالذي هويجمع بين الاحتجاج والتوسل. فكيف جمع الامام بين هاتين الحالتين المتضادتين .

قال السيد الشريف الرضي قدس الله نفسه الزكية في مقدمة (نهج البلاغة) : ومن عجائبه التي أنفرد بها ، وأمن المشاركة فيها . ان كلامه الوارد في الزهد والمواعظ ، والتذكير والزواجر . اذا تأمله المتأمل وفكر

فيه النظر وخلع من قلبه انه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ أمره واحاط بالرقاب ملكه ، لم يعترضه الشك في أنه كلام من لاحظ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة ، قد قبع في كسر بيت ، او انقطع في سفح جبل لايسمع الا حسه ولا يرى الا نفسه ، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه فيقط الرقاب ويجدل الابطال ، ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا ، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الابدال . وهذه من فضائله العجيبة ، وخصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الاضداد ، والف بين الاشتات ، وكثيرا ما اذكر الاخوان بها واستخرج عجبهم منها ، وهي موضع للعبرة بها والفكرة فيها .

والى هذا المعنى أشار العالم الجليل والشاعر المبدع الشيخ صفي الدين الحلي حيث يقول من قصيدة عامرة كل ابياتها بالجزالة والمتانة .

جمعت في صفاتك الاضداد ... فلهذا عزت لك الاتداد
زاهد حاكم ، حليم شجاع ... ناسك فاتك ، فقير جواد
شيم ما اجتمعن في بشر قط ... ولا حاز مثلهن العباد
خلق يخجل النسيم من اللطف ... وبأس يذوب منه الجماد
او رأى مثلك النبي لأخاه ... والا فاخطأ الاتقاد
جل معناك أن يحيط به الشعر ... ويحصى صفاتك النقاد

ولاجتماع هذه المتناقضات التي تفردت بها شخصية الامام — وقل ما تجتمع في بشر — تاهت العقول واضطربت الاراء وانقسمت الناس فيه الى طوائف وفرق . قال ابن أبي الحديد : وما أقول في رجل تعزى اليه كل فضيلة وتنتهي اليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وابو عذرها وسابق مضمارها ، كل من برز فيها بعده فمنه اخذ ، وله اقتفى ، وعلى مثاله احتذى . وما أقول في رجل تحبه أهل الذمة على

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تكذيبهم بالنبوة ، وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لاهل الملة ، وتصور ملوك الافرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها حاملا سيفه مشمرا لحربه وتصور ملوك الترك والديلم صورته على اسيافها .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي يهلك فيك اثنان : محب غال ومبغض قال ، وذاك مانظمه احد شعراء الشيعة الامامية بقوله [1] .

امام الهدى وغياث الورى ... وحاكمها السيد المقسط
امام به هلك المبغضون ... وفي حبه هلك المفرط
كلا الجانبين عدو له ... وشيعته النمط الاوسط

قال الكاتب مصطفى بك نجيب في كتابه (حماة الاسلام) ما نصه :

ماذا يقول القائل في هذا الامام وكل وصاف منسوب الى العجز لتقصيره عن الغاية مهما انتهى به القول . وكفى بشهادته صلى الله عليه وسلم بأنه باب مدينة العلم دليلا على مكنون السر الذي فيه ، فهو اول في العلوم ، اول في الشجاعة ، اول في السخاء ، اول في الحلم والصفح ، اول في الفصاحة ، اول في الزهد ، اول في العبادة ، اول في التدبير والسياسة ، أسدّ الناس رأيا واصحهم تدبيرا لولا تقاه لكان ادهى العرب ، فهو محبوب الى كل نفس ، ظهر من حجاب العظمة بمعاليه فأستولى الاضطراب على الاذهان والمدارك وذهب الناس فيه مذاهب خرجت بهم عن حدود العقل والشريعة .

(١) هو المرحوم السيد عدنان البصري .

اولياته وابتكاراته

لا حاجة بنا للتدليل على أن الامام كان يعلم أوانه الا علم بل هو في ذلك نار على علم وهو رأس العرفاء والعلماء باتفاق الامة وقول الخليل بن احمد امام [1] اللغويين فيه الدليل العقلي على ذلك وبه الكفاية . انه عندماسئل عن علم الامام قال:

احتياج الكل اليه ، واستغناؤه عن الكل، دليل على أنه امام الكل وقبل ذلك وفوق ذلك شهادة النبي له بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، ولن تؤتى المدينة الا من قبل الباب [2] وقوله صلى الله عليه وآله لما صرت بين يدي ربي كلمني وناجاني ، فما علمت شيئا الا علمته عليا ، فهو باب علمي . الى عشرات من الاحاديث الشريفة بهذا المعنى .

وقد أثبت الباحثون انه المرجع الذي تستقي منه فقهاء الاسلام وتأخذ عنه ، ورؤساء المذاهب يرجعون اليه ويعولون عليه ولو أردنا تفصيل ذلك لاحتجنا الى مجلدات ، اما أحكامه وفتاواه في فصل الخصومات وحل المنازعات ففيها دروس ممتعة للحكام والقضاة ومن مبتكراته .

١ — أول من فرق بين الشهود ، حتى لايسمع بعضهم شهادة البعض.

٢ — أول من كتب تقارير الشهود حتى لايغير بعد ذلك شهادته أو تؤثر عليه المؤثرات ومنه أخذت الحكومات والدول ذلك .

(١) الخليل بن احمد من أئمة اللغة وواضع علم العروض ، ولد ومات بالبصرة .

(٢) روى ذلك جملة من المحدثين منهم صاحب ينابيع المودة .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣ ــ أول حكم كشف للدول والحكومات بأن لبن أم البنت ينقص وزنا عن لبن أم الولد حتى جعلت الاطباء ذلك أساسا ومقياسا في الاستدلال على الذكر والانثى .

روى الحاكم النيسابوري : في (كنز العمال في السنن والاقوال) جزء ٣ ص ١٧٩ عن شريح القاضي، قال: كنت أقضي لعمر بن الخطاب ، فأتاني يوما رجل فقال : يا أبا امية ، ان رجلا أودعني امرأتين : احداهما حرة مهيرة [1] والاخرى سرية ، فجعلتهما في دار وأصبحت اليوم وقد ولدتا غلاما وجارية وكلتاهما تدعي الغلام وتنتفي من الجارية ، فاقض بينهما بقضائك . قال : فلم يحضرني شيء فيهما ، فأتيت عمر فقصصت عليه القصة. فقال : فما قضيت بينهما . قلت لو كان عندي قضاؤهما ما أتيتك. فجمع عمر جميع من حضر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمرني فقصصت عليهم فشاورهم في ذلك ، فكلهم رد الرأي اليه والي . فقال عمر: لكني أعرف حيث مفزعها ، واين منتزعها ، قالوا كأنك اردت ابن ابي طالب قال: نعم واين المذهب عنه ، قالوا فابعث اليه يأتك فقال: لا ، له شمخة من هاشم واثرة من علم يؤتى لها ولا يأتي ، وفي بيته يؤتى الحكم .فقوموا بنا اليه ، فأتينا فوجدناه في حائط يركل فيه على مسحاة ويقرأ (أيحسب الانسان أن يترك سدى) ويبكي، فامهلوه حتى سكن ، ثم استأذنوا عليه فخرج اليهم وعليه قميص قد نصف أردانه . فقال: يا أمير المؤمنين ما الذي جاء بك . فقال : أمر عرض .

وأمرني فقصصت عليه . فقال: فبم حكمت فيها . قلت لم يحضرني فيها حكم ، فأخذ بيده من الارض شيئا ، ثم قال: الحكم أهون من هذا .

ثم استحضر المرأتين ، واحضر قدحا ثم دفعه الى أحدهما فقال: احلبي

(١) المهيرة من النساء : الحرة الغالية المهر . الجمع مهائر.

فيه ، فحلبت ثم وزن القدح ، ودفعه الى الاخرى فقال : احلبي فيه ،فحلبت فيه ، ثم وزنه ،فقال : لصاحبة اللبن الخفيف : امضي وخذي ابنتك،ولصاحبة اللبن الثقيل: خذي ابنك. ثم التفت الى عمر فقال: أما علمت ان لبن الجارية على النصف من لبن الغلام وان ميراثها نصف ميراثه وان عقلها نصف عقله، وان شهادتها نصف شهادته

فقال عمر : لقد أرادك الحق يا ابا الحسن ولكن قومك ابوا .

ومن المتواتر قول عمر : لولا علي لهلك عمر حتى اشتهر عنه ذلك ، وحكاها أهل العربية في كتبهم في بحث (لولا) .

قال المرحوم عباس محمود العقاد في كتابه (عبقرية الامام) : قل ان سمعنا بعلم من العلوم الاسلامية والعلوم القديمة لم ينسب اليه .

وهو الذي افتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر بما لم يسبقه في حكمه أحد وهو الذي أفتى في الحامل الزانية وحكم بحكم لم يسبقه أحد قبله الى غير ذلك .

الامام أول مكتشف لتحرك الارض .

قال السيد شرف الدين قدس الله نفسه الزكية [1] تحت عنوان :

علي اول من أشار الى تحرك الارض .

ولا بأس أن نشير هنا الى أمر لم تنله فيما أعلم أقلام الكتاب وهو : ان أول من أشار الى تحرك الارض علي عليه السلام ، حين لم يكن عليها من يتصور ذلك ، حيث قال في خطبته المعروفة بـ (الاشباح) وهي من خطب النهج ص ١٩٠ من الطبعة المصرية م ١٥ :

فلما سكن هياج الماء من تحت أكنافها وحمل شواهق الجبال الشمخ

(١) اقتطفنا هذا الفصل من كتاب (مؤلفوا الشيعة في صدر الاسلام) للامام السيد عبد الحسين شرف الدين .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

البذخ على أكتافها فجَّر ينابيع العيون من عرانين انوفها .

الى أن قال : وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها .

وهذا صريح بأنها تتحرك حركة معتدلة . وفيه اشارة الى أن النبع من الجبال كما يقوله أهل العصر .

وقال عليه السلام في ص ٤٥٤ :

فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها او تسيخ بحملها .

وهذا كسابقه ، لان معناه انها مع حركتها سكنت من الميدان بسبب الجبال ضرورة ان (على) هنا بمعنى (مع) كقولنا اسهبت في هذا الامر على وضوحه . ولولا مخافة الاطناب والخروج بنا عن مقصودنا في هذا الكتاب، لاطلقت عنان اليراع فيما اشار اليه امير المؤمنين عليه السلام من غوامض الامور ودقائق العلوم . وبذلك تعلم ان الاكتشافات التي حاز المتأخرون بها رهان السبق هي مقتبسة من عباراته .

الامام أول من وضع صندوق الشكاوى في الحكومات .

قال ابن أبي الحديد : وكان لامير المؤمنين علي بيت سماه بيت (القصص) يلقى الناس فيه رقاعهم .

الامام أول من أمر بضرب السكة الاسلامية .

جاء فيدائرة المعارف البريطانية ان أول منأمر بضرب السكة الاسلامية هو الخليفة علي بالبصرة سنة ٤٠ من الهجرة الموافقة لسنة٦٦٠ مسيحية ، ثم أكمل الامر عبد الملك الخليفة المرواني سنة ٧٦ من الهجرة الموافقة لسنة ٦٩٥ مسيحية .

ويمكن الجمع بان عليا أمر بضرب السكة في البصرة مع بقاء التعامل بسكة أخرى ، وكذلك ماضربه رأس البغل من الدراهم لعمر مع انه كان بسكة كسروية . أما عبد الملك فانه ضرب السكة باشارة الامام

الباقر عليه السلام على الصفة المذكورة . ومنع من التعامل بغيرها .

أقول أخذنا هذا عن (أعيان الشيعة) للسيد الامين جزء ٤ القسم الثاني منه . وجاء في الجزء ٣ القسم الثالث مايلي :

ذكر الفاضل المتتبع الشيخ حيدر قليخان بن نور محمد خان الكابلي نزيل (كرمانشاه) في رسالته (غاية التعديل في الاوزان والمكاييل) وروى ما ذكرناه عن (دائرة المعارف البريطانية) في ص ٩٠٤ من الطبعة الثالثة والعشرين عند الكلام على المسكوكات العربية .

الامام اول مؤسس لعلم النحو .

تواتر النقل ان اول من وضع هذا العلم هو امير المؤمنين عليه السلام . قال ابن الاثير في (المثل السائر) ان ابنة لابي الاسود الدؤلي قالت له يوما : يا ابت ما اشد الحر — وضمت الدال ، وكسرت الراء — فضن ابو الاسود انها مستفهمة ، فقال : شهر آب . فقالت يا ابت انما اخبرتك ولم اسألك، فأتى ابو الاسود الى امير المؤمنين علي كرم الله وجهه واخبره بخبر ابنته . فقال : هلمَّ صحيفة ، ثم املى عليه اصول النحو .

وقال ياقوت الحموي في (معجم الادباء) عند ترجمة الامام امير المؤمنين ما نصه : وكان عليه السلام اول من وضع النحو وسن العربية ، وذلك انه مر برجل يقرأ (ان الله بريء من المشركين ورسوله) بكسر اللام في رسوله فوضع النحو والقاه الى أبي الاسود الدؤلي . وقد استوفينا خبر ذلك في باب أبي الاسود .

وقال : وفي أمالي الزجاج بالاسناد عن أبي الاسود قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فرأيته مطرقا مفكرا ، فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين .

قال : أني سمعت ببلدكم لحنا ، فأردت ان اضع كتابا في اصول العربية،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فقلت : لأن فعلت هذا ياأمير المؤمنين احييتنا ، وبقيت فينا هذه اللغة ثم اتيته بعد أيام فالقى الي صحيفة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم • الكلام كله : اسم وفعل وحرف ، والاسم ما انبأ عن المسمى ، والفعل ما انبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما انبأ عن معنى ليس بأسم ولا فعل •

ثم قال لي تتبعه وزدفيه ماوقع لك •انح ياأبا الاسود هذا النحو أي اقصد هذا القصد واعلم ياأبا الاسود ان الاشياء ثلاثة :ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولامضمر •قال فجمعت منه اشياء وعرضتها عليه ،وكان من ذلك حروف النصب ،فكان فيها :(أن) (إن)ليت، لعل،كأن •ولم اذكر لكن،فقال لي لم تركتها فقلت : لم احسبها منها فقال : بلى هي منها ، فزدها فيها •

قال الزجاج : قوله (ع) : ظاهر ومضمر : كرجل وفرس وزيدوعمر• والمضمر نحو : أنا ، وانت ، والتاء في فعلت ، والياء في غلامي •

واما الشيء الذي ليس بظاهر ولا مضمر فالمبهم نحو : هذا وهذه ، وهاتا ، وتا ، ومن ، وما ، والـذي ، وأي ، وكم • ومتى•واين• وما أشبه ذلك •

قال عبد الحميد بن أبي الحديد • وقد علم الناس كافة ان علم النحو وضعه وانشأه امير المؤمنين ، واملى على ابي الاسود الدؤلي جوامعه واصوله ••• الى آخر ما قال •

الامام اول مؤسس لعلم الفلك •

جاء في (النهج) قوله عليه السلام لاهل البصرة : ارضكم قريبة من الماء بعيده من السماء •

قال ابن أبي الحديد : معنى قوله عليه السلام : قريبة من الماء ، قربها من البحر فأنها غرقت من ماء بحر فارس مرتين : مرة في أيام القادر بالله ، ومرة في ايام القائم بأمر الله ، كما اخبر عليه السلام في اخباره با (الملاحم) بأنها

تغرق ، ويبقى مسجدها كجؤجؤ سفينة ، فصارت كما قال :

قال : ومعنى قوله عليه السلام : بعيدة من السماء ، انه دلت الارصاد، والالآت النجومية على أن ابعد موضع في المعمورة عن دائرة معدل النهار هو (الابلة) والابلة : قصبة البصرة •

قال : وهذا من خصائص امير المؤمنين عليه السلام ، لانه اخبر عن امر لايعرفه العرب ولا يهتدون اليه ، وهو مخصوص بالمدققين من الحكماء ، وهذا من اسراره وغرائبه البديعة •

اقول : وقوله عليه السلام : كأني بمسجدكم هذا كجؤجؤ سفينة او نعامة جاثمة باق اثر هذا المسجد على طريق المارة كجؤجؤ سفينة قائم وحده وذلك من كرامات الامام الباقية الى اليوم •

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

روائع من أخلاق الامام

١ — كان حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي يلعنان اهل الشام بصفين ، فأرسل اليهما عليه السلام : أن كفا . فأقبلا اليه ، قالا يا امير المؤمنين السنا محقين ، قال بلا قالا : او ليسوا مبطلين . قال بلى ، قالا : اجل لم منعتنا عن شتمهم ، قال : كرهت لكم ان تكونوا سبّابين لعانين فلو وصفتم مساوي اعمالهم وقلتم كان من سيرتهم كذا وكذا لكان أصوب في القول وابلغ في العذر . قالا : تتأدب بآدابك يا امير المؤمنين .

يريد عليه السلام ان يرتفع بهم عن لغة السباب فان التراشق بالشتم والسب من سلاح العاجز فأراد أن لايكون الشتم بضاعتهم فتتعود السنتهم على ردي الكلام وأن يتأدبوا بأدب القرآن مذ خاطب المشركين بقوله (قل لاتسألون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون) [1] .

فبمقتضى سياق الكلام يقول (ولا نسئل عما تجرمون) لكنه تجنب جرح العواطف ،وقلتم مكان سبكم اياهم :اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم او أهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن البغي والعدوان من لهج به .

٢ — جاءه أحد الناس يقول : يا امير المؤمنين ان فلانا ما زال يشتمك ويقول فيك كذا وكذا . قال (ع) : يا هذا نحن نسأل عما قلت ، فان كنت صادقا مقتناك ،وانكنت كاذبا عاقبناك ، وانشئت ان نقيلك اقلناك .

قال الرجل حين سمع هذا : اقلني يا امير المؤمنين ومثل هذا تنقطع جرائم الاخبار الكاذب ، ويسد باب السعاية والوشاية ، ان هذا الواشي أراد ان يتقرب للامام بهذا الاسلوب ولكن نفس الامام الكبيرة ابت ان تقبل امثال

(١) سبأ — ٢٨ .

هؤلاء ممن تكون بضاعتهم حمل اخبار السوء .

روى المؤرخون ان المغيرة بن شعبة اشار على الامام ان يقر معوية في ولاية الشام حتى يبايع له ثم يرى فيه رأيه . فقال عليه السلام : والله لا أداهن في ديني ، ولا اعطي الرياء في أمري .

ويتهم البعض من ذوي النفوس الضعيفة سياسة الامام في ذلك ونحن نفسح المجال للاستاذ جورج جرداق ليجيبهم بقوله : ان الذين اعترضوا على الامام أرادوا من علي بن أبي طالب ان يكون معوية بن أبي سفيان ، ويأبى علي الا ان يكون عليا .

٣ — اثنى عليه رجل — وكان متهما — فقال عليه السلام :

أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك .

بهذا اللون من الصراحة يستريح الانسان من المكاشرة والمجاملة الكاذبة والمخادعة بالمدح الكاذب .

لما بويع امير المؤمنين جاءه رهط من شيعته ومواليه ، فقالوا يا امير المؤمنين لو أخرجت هذه الاموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والاشراف وفضلتهم علينا حتى اذا استوثقت الامور عدت الى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية والعدل في الرعية . فقال : أتأمرونني — ويحكم — ان اطلب النصر بالظلم والجور فيمن وليت عليه من أهل الاسلام لا والله لايكون ذلك ماسمر السمير (ما بقي الدهر) وما رؤيت في السماء نجمة ، ووالله لو كانأموالهم ملكي لسويت بينهم فكيف وانما هي أموالهم .

وفي حديث آخر .

قالوا له : يا امير المؤمنين لو فضلت الاشراف كان أجدر أن يناصحوك فغضب عليه السلام ثم قال : أيها الناس تأمرونني ان أطلب العدل بالجور فيمن وليت عليه ، والله لايكون ذلك ما سمر السمير وما رؤيت في السماء

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نجسة ، والله لو كان مالي دونهم لسويت بينهم ، كيف وانما هو مالهم .

ثم قال : أيها الناس ليس لواضع المعروف في غير أهله الا محمدة اللئام وثناء الجهال ، فان زلت بصاحبه النعل فشر خدين وشرخليل .

الجواب على البديهة

١ — لما أراد امير المؤمنين علي عليه السلام المسير الى الخوارج ، قال له ابن الاحمر — وكان ينظر في النجوم — يا امير المؤمنين لاتسر في هذه الساعة ، قال : ولم قال لأن القمر في العقرب قال عليه السلام : قمرنا أو قمرهم .

٢ — سأله ابن الكوا : كم المسافة بين السماء والارض .

فأجاب : دعوة مستجابة .

ذلك لأن المسافة لاتتناهى ثم لأن الله عز وجل لايخلو منه مكان (وهو معكم اينما كنتم) وللتناهي في البعد جاءت الآية الشريفة (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) .

وقوله (ع) دعوة مستجابة دليل على عدم امكان تعريف المسافة بشكل يفهمه السائل .

٣ — قال له رجل يا امير المؤمنين ماقدر المسافة التي بين المشرق والمغرب، قال : مسيرة يوم للشمس .

٤ — وقيل له : لو سد على رجل باب بيته وترك فيه ، من اين كان يأتيه رزقه قال : من حيث يأتيه اجله .

وقيل له : ما طعم الماء ، قال : طعم الحياة .

وقيل له : صف لنا العاقل ، فقال : هو الذي يضع الشيء مواضعه .

فقيل له : صف لنا الجاهل ، قال : قد فعلت .

وسئل عن الفرق بين الحق والباطل . فقال : اربعة اصابع . وجمع اصابعه الاربعة ووضعها بين اذنه وعينيه ، وقال : الحق ما رأيته بعينك والباطل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ما سمعته بأذنك • أي ان ما تسمعه يحتاج الى شاهد ودليل اما ما تراه فهو دليل بنفسه •

وسأله رأس الجالوت : ما هو اصل الاشياء •

قال عليه السلام : الماء ، لقوله تعالى :

وجعلنا من الماء كل شيء حي •

وهكذا اثبت العلم الحديث ان كل شيء فيه مقدار من الماء •

وجاءه رجل فقال يا امير المؤمنين ان فلانا يزعم انه احتلم بأمي ، فقال عليه السلام : ان شئت اقمته لك في الشمس فأجلد ظله ، فان الحلم مثل الظل • ولكننا سنضربه حتى لايعود يؤذي المسلمين •

وسئل عليه السلام عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا في الارحام فقال : آدم وحواء ، وناقة صالح ، وكبش ابراهيم ، وعصى موسى •

علي في سطور

علي هو الامام الذي التقت على حبه واجلاله جميع الطوائف الاسلامية.

علي فتح عينيه بالولادة في الكعبة، وغمض عينيه بالشهادة في مسجد الكوفة

علي ينبوع نهج البلاغة وهو أجل كتاب بعد كتاب الله العظيم •

علي هو اول من اسلم بل هو أول من نشأ على فطرة الاسلام •

علي أعلم صحابة الرسول ومنه يستقون •

علي اول هاشمي ولد من هاشميين •

علي اول من سمي بهذا الاسم في العالم •

علي لم يولد أحد في الكعبة غيره •

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

علي في نظر العظماء والاعداء

قال النظام : تحيرنا في علي أن احببناه قتلنا وان ابغضناه كفرنا .

قال الشافعي : ما أقول في رجل اخفت اعداؤه فضائله حسدا ، واخفت اولياؤه فضائله خوفا ، وقدشاع من بين ذين ما ملأ الخافقين .

قال ابو بكر بن عياش : ضرب علي بن أبي طالب ضربة ما كان في الاسلام أيمن منها ، ضربته لابن عبد ود يوم الخندق .

قال عمر بن عبد العزيز : ما علمنا ان أحدا من هذه الامة بعد رسول الله ازهد من علي بن أبي طالب ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة .

قال الخليل بن احمد : احتياج الكل اليه ، واستغناؤه عن الكل ، دليل على انه امام الكل .

قال روسكو الفرنسي : ما وجدت في التأريخ من يستحق كلمه انسان بتمام مفهومها سوى رجل واحد هو علي .

عبد العزيز بن مروان بن الحكم يقول لولده : يا بني ان الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا عنا الى اولاده .

قال عامر بن عبدالله بن الزبير لولده : يابني ان بني مروان ما زالوا يشتمون عليا ستين سنة فلم يزده الله الا رفعة ، وان الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا وان الدنيا لم تبن شيئا الا عادت على ما بنت فهدمته .

قال معوية يرد على محفن بن أبي محفن الضبي حينما يتهم عليا بالبخل والجبن والعي فيقول :

أعلي كان ابخل الناس والله لو كان لعلي بيت من تبن ، وبيت من تبر لانفق تبره قبل تبنه .

اعلي كان اجبن الناس وهل وقف في الحروب دون رسول الله غير علي وهل كانت وقعة بدر الا لعلي وهل كانت وقعة احد الا لعلي .

اعلي كان اعيى الناس ، وهل سن الفصاحة لقريش غير علي .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المثالية عند الامام

قليلون وقليلون جدا اولئك الذين لاتغريهم المناصب والمراتب ، ولا تستهويهم السلطة والشهرة وحب الذات والاثرة ولا تصرعهم الدنيا بشهواتها، (الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون) والعاملون لله ومن أجل الله وفي سبيل الله هم نخبة اتتخبهم الله واتتجبهم ورجال احبوا الله فأحبهم ولم يكن من همهم تثبيت أقدامهم في المنصب وسواء ثبتت في الملك والسلطان أقدامهم ام تزلزلت فأنما غايتهم الخير والصلاح لهذه الامة ، اولئك خلفاء الله حقا .

قال ابن عباس دخلت على علي عليه السلام يوما بذي (قار) وهو يخصف نعله ، فقلت له : ما قيمة هذه النعل حتى تخصفها يا امير المؤمنين ، فقال : هي والله احب الي من دنياكم وامرتكم هـذه الا أن اقيم حقا أو ادفع باطلا . لا قيمة للخلافة والسلطة عند الامام ما لم تكن وسيلة الى تحقيق المثل العليا ، وتحقيق العدل والمساواة ، ومقاومة الظلم والجور . يرى عليه السلام قيمة لنعله اكثر من ثمن الامرة . كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما علمنا ان أحدا من هذه الامة بعد رسول الله ازهد من علي بن أبي طالب ، ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة .

وفي رواية عن أبي اسحاق الهمداني ان امرأتين جائتا الى علي عليه السلام أحداهما من العرب والاخرى من الموالي فسألتاه فدفع اليهما دراهما وطعاما بالسواء ، فقالت احداهما : اني امرأة من العرب وهذه من الاعاجم. فقال علي : انا والله لا أجد لبني اسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني اسحاق . وجاء في سيرته انه ما أخذ من بيت المال لادرهما ولا دينارا انه

أستخرج عيونا من الارض بمسحاته وكد يمينه وزرع نخلا ثم تركها بعد وفاته صدقة على فقراء اهل المدينة وابن السبيل ومن ذلك عين البغيبغه (١) وعين أبي نيزر (٢) لانه كان يعمل فيهما . .

قال ابن أبي الحديد : وكان عليه السلام سيد الزهاد ، وبدل الابدال، واليه تشد الرحال ، وعنده تنفض الاحلاس ، فأنه ما شبع من طعام قط . وكان اخشن الناس مأكلا وملبسا .

قال له عدي بن حاتم : يا امير المؤمنين هذا وانت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك . قال ويحك اني لست كأنت ، ان الله فرض على ائمة العدل ان يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كي لايتبيغ بالفقير فقره .

تأمل هذه العدالة وتصور هذه الانسانية يريد أن يواسى الطبقة الفقيرة حتى لايضجر الفقير من الفقر ولا يجزع من الضر .

---

(١) قال الحموي في (معجم البلدان) : ابو نيزر الذي تنسب اليه العين هو مولى علي بن أبي طالب كان ابنا للنجاشي ملك الحبشة الذي هاجر اليه المسلمون لصُلبه ، وان عليا وجده عند تاجر بمكة فأشتراه منه واعتقه مكافأة بما صنع ابوه مع المسلمين حين هاجروا اليه ، وذكروا ان الحبشة مرج أمرها بعد موت النجاشي وانهم ارسلوا وفدا منهم الى أبي نيزر وهو مع علي (ع) ليملكوه عليهم ويتوجوه ولا يختلفوا عليه ، فأبى وقال ما كنت لاطلب الملك بعد أن منَّ الله علي بالاسلام ... قال وكان ابو نيزر من اطول الناس قامة ، واحسنهم وجها ، قال ولم يكن لونه كألوان الحبشة ولكنه اذا رأيته قلت هذا عربي .

(٢) وتسمى بالبغيبغات ، وان غلتها بالسنة ثمانية آلاف دينار . كما نص عليه المبرد في الكامل ج٣ ص ١١٤ . وهي ثلاث عيون في ينبع : عين يقال لها (خيف ليلى) وثانية (خيف الاراك) وثالثة (خيف بسطاس)

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قال نوف البكالي — نسبة الى بكالة قبيلة — خطبنا امير المؤمنين بالكوفة وهو قائم على صخرة نصبت له ، وعليه مدرعة صوف ، وفي رجليه نعلان من ليف ، وكأن جبينه ثفنة بعير ، فقال :

أيها الناس اني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ بها الانبياء أممهم ، وأديت اليكم ما ادت الاوصياء الى من بعدهم ، وادبتكم بسوطي فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا ، لله انتم أتتوقعون اماما غيري يطأبكم الطريق ، ويرشدكم السبيل — (حتى اتم الخطبة) وضرب بيده الى لحيته الكريمة فأطال البكاء ثم قال : أوه على أخواني الذين قرأوا القرآن فأحكموا وتدبروا الفرض فاقاموه ، احيوا السنة وأماتوا البدعة ، دعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فأتبعوه .

ويعني بالقائد نفسه . فهو يتشوق الى تلك الصفوة من اصحابه الخلص ويتوجع عليهم ويحن الى لقائهم ، وكأنه يحس بقرب الاجل ونهاية الحياة ثم نادى بأعلى صوته :

الجهاد الجهاد عباد الله ، الا واني معسكر في يومي هذا ، فمن أراد الرواح الى الله فليخرج .

وأخذت تنطلق من لسانه كلمات تعرب عن السأم والضجر من الحياة وتترد على شفتيه عبارات الشوق للقيا الاحبة واللحوق بهم ومجاورتهم في جنات النعيم ، ويكثر من كلمة : ما ينتظر اشقاها ان يخضب هذه من هذه وما جاءت الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان الا وقد قضاها كعادته متعبدا متخشعا ذاكرا متهجدا ، حتى اذا ماقارب الفجر باشر وضوئه ، واذ كان موعد الصلاة لم يحن بعد تمدد على وسادته الخشناء ذاكرا مامر عليه من المتاعب والمشاق في جهاده المتواصل في سبيل الاسلام وبينا هو كذلك غفت عيناه فسنح له رسول الله (ص) فقال له : يارسول الله ماذا لقيت من امتك من

اللدد والاود .

فقال : ادع عليهم . قال : اللهم ابدلني بخير منهم ، وابدلهم بشر مني . فيقول له : قد استجاب الله دعاك وسينقلك الينا بعد ثلاث .

وجاءت الليلة التاسعة عشرة وفي أثناء صلاته يضربه الخارجي ابن ملجم ضربة قاتلة يسقط على أثرها في محرابه قائلا : فزت ورب الكعبة .

ويحمل من المحراب ودمه يفيض ولسانه يسبح الله . وأولاده ينادون : واغماه وهو يقول : لاغم على أبيكم بعد اليوم . ويأتونه بالجاني الشقي فيقول له : ألم احسن اليك : ألم او ثرك . ثم التفت الى ولده الحسن وقال : ارفق بأسيرك ياولدي وارحمه وأحسن اليه فانا أهل بيت لانزداد على المذنب الينا الا كرما وعفوا .. بحقي عليك أطعمه مما تأكل ، واسقه مما تشرب ولا تقيد له قدما ، ولا تغل له يدا .

ثم يقول لاهل بيته وسائر شيعته :

لا ألفينكم يابني عبد المطلب تخوضون دماء المسلمين خوضا ، تقولون قتل أمير المؤمنين . لايقتلن بي الا قاتلي .

انظروا اذا أنامت من ضربته هذه فأضربوه ضربة وان تعفو أقرب للتقوى ، ولا يمثل بالرجل فاني سمعت رسول الله يقول : اياكم والمثلة ولو كان بالكلب العقور .

وبموت علي عليه السلام انطفأ مشعل الايمان وسكت القلب الكبير الذي كان يفيض بالحنان وينور بالعلم والعرفان ويغور نهر عذب طالما شرب منه المسلمون حكمة وعلما وينتهلون منه معارفا وهديا . وهكذا انطفأ نور ضاقت به الارض فشع في السماء ، وضم التراب جسدا طاهرا ، وقلبا ضخما وسع الناس جميعا بحلمه وزهده وورعه .

هذا الذي ذكرته في هذه الوريقات قطرة من بحر مما جاء عن الامام وفيه ، والمامة مقتبسة وباقة مقتطفة وقبسة عجلان وتنف جاءت بها الذاكرة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

على مجرى القلم • وربما يرى البعض ممن لم يدرس هذا الامام العظيم ان قولي هذا فيه لون من المبالغة ولكني ضمين له انه عندما يتجه الى تتبع حياة الامام ويكون من همه تناول هذا الكتاب وذاك الكتاب تنفتح له أبواب ويجد المادة متوفرة متيسرة ، والموضوع حقيق بالبحث ، جدير بالكتابةعنه، ليعلم العالم عظمة أبطال الاسلام وامراء الكلام ثم ليلتفت الغرب الى مافي العرب والمسلمين من مخترعين ومكتشفين وما خلفوه من ثروة عالية فائقة الحد متجاوزة العد •

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين •

ان كنت انال الاجر والمثوبة - ان شاء الله - على عملي هذا فأني اعتقد أن اضعافا مضاعفة من الثواب للاخ الكريم الحاج علي محمد الدخيل حيث كان له أكبر الاثر في ملاحقة الفكرة في فترة بعد فترة •

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

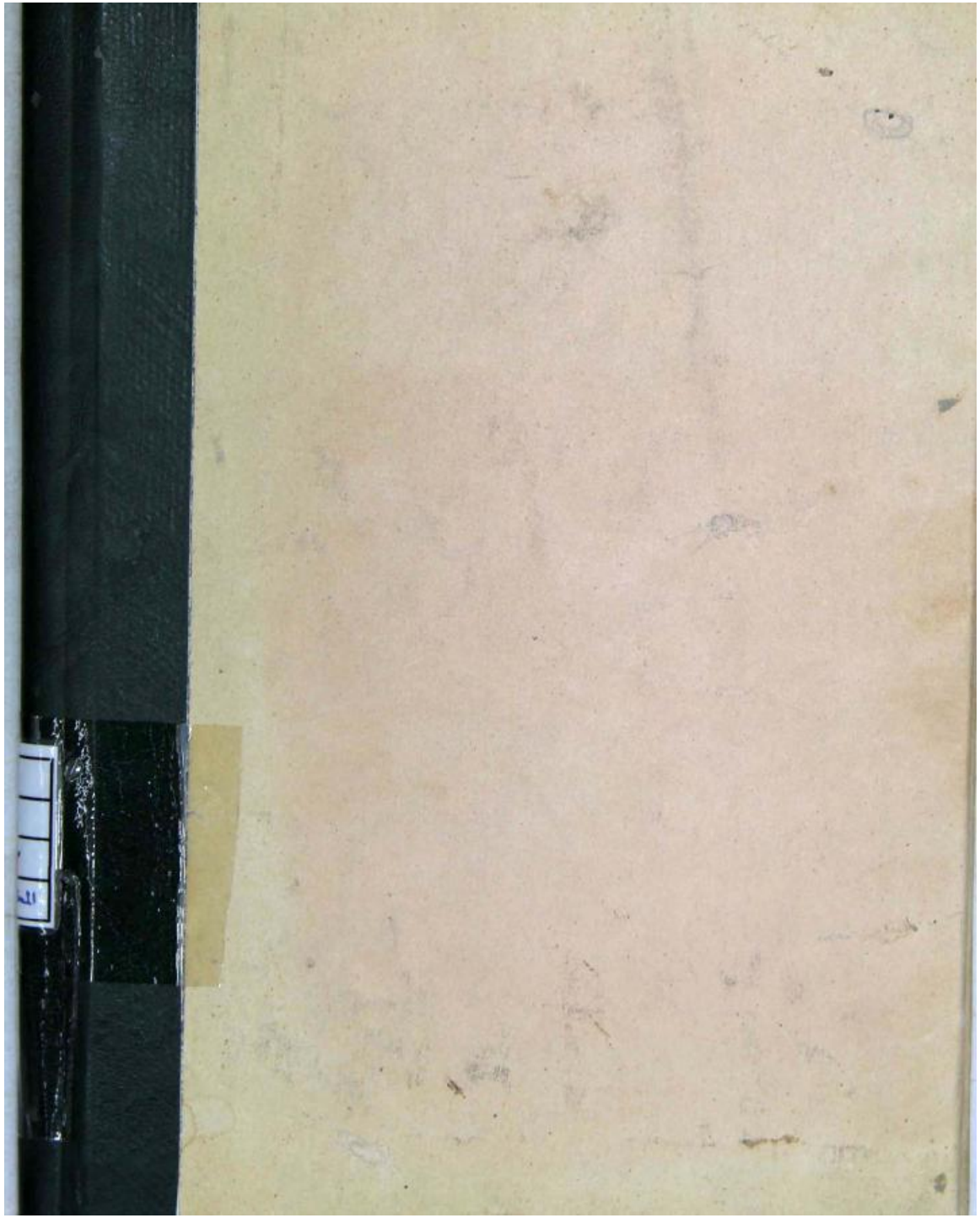

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com